نافورة مائلة

(قلب التراب)

الكتاب : نافورة مائلة (قلب التراب)

الكاتب : ليندا جبريل

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

الطبعة : الأولى٢٠٢٠

رقم الإيداع: 2019/21187

الترقيم الدولي :978-977-6727-80-9

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

نافورة مائلة

(قلب التراب)

رواية

تأليف

ليندا جبريل

السّعيد
للنشر والتوزيع

في الرابـع مـن حزيـران يونيـو لعـام ١٩٧. م ، كان جـون فرانـدو وهـو رجـل في الثلاثـين مـن عمـره طويـل القامـة وسـيم الملامـح ،يقـف منتظـرا خـروج القابلـة مـن حجـرة نومـه بفـارغ الصـبر ، وبالفعـل خرجـت القابلـة لتبـشره بغـلام جميـل، لم يتمالـك نفسـه مـن فـرط السـعادة، دخـل ليحتضن وليـده ،فوجـئ أن صغـيره يحمـل عاهـه في يـده اليـسرى ، حيـث تلتصـق أصابعـه جميعهـا بشـكل مخيـف، الجلـد الـذي يغطـي أصابعـه تلـك مائـل للسـواد ، كـما لـو كان محترقـا ، كان الأمـر بمثابـة صدمـة لجـو ، لكنـه أحـب الصبـي مـن أعـماق قلبـه وأطلـق عليـه إسـم سـام ،تيمنـا بالجـد الأكـبر للعائلـة، كان سـام يحمـل وجهـا بشوشـا بريئـا ، و ذكاءا وفطنـة نـادرة، فاحـم الشـعر ، أبيـض البـشرة ، أمـا سـيمون الـذي كان يكـبر سـام بسـت سـنوات حنطـي البـشرة رشـيق البنيـة ، سريـع البديهـة ، ولقـد شـجع ذلـك والـده لتعليمـه وشـقيقه اللغـة والموسـيقى ، كان سـام يحـب العـزف عـلى النـاي كثـيرا، تعلـم أصولـه في الثالثـة، وفي سـن الخامسـة بـرع فيـه ، لكـن لسـوء الحـظ لم يسـلم هـذا الأخـير مـن كيـد الأطفـال الحاقديـن عليـه بسـبب تفوقـه عليهـم، وخصوصـا أقرانـه مـن طبقـة الأغنيـاء، إذ كانـو يسـخرون مـن يـده ويطلقـون عليهـا ألقابـا ، بشـعة الأمـر الـذي تـرك في سـام بالـغ الأثـر ، ورويـدا رويـدا أصبـح سـام منطويـا يحـب النباتـات، ويجد فيهـا الراحـة والدفـئ، بـل و كان يعـاون والـده في الزراعـة أيضـا ، وفي هـذه الأثنـاء لاحـظ والـده جـون أن لإبنـه سـام قـوة خاصـة في يـده المشـوهة ، ما إن يغـرس يـده تلـك للحظـات في قلـب الـتراب ، حتـى تظهـر عـلى السـطح حشـائش صغـيرة لنباتـات نـادرة وعجيبـة ، أغلبهـا ليـس صالحـا لـلأكل، بـل كان يسـتخدمه قدمـاء قبائـل المايـا في المـداواة ، ومخافـة أن يتهـم سـكان قريـة ليرمـا إبنـه باالسـحر ويقتلـوه ، حـرص جـون عـلى عـدم إخبـار أحـد بالأمـر، وبعـد مـضي عـدة أيـام عـلى ظهـور قـوة سـام ، توفيـت شـقيقته الكـبرى سـاندرا ، في حـادث سـير مؤسـف بينـما كانـت تلعـب مـع شـقيقيها

في مدينة ليرما، ولقد كان الأمر بمثابة صدمة بالغة للأسرة ، رغم حزن جون على إبنته إلا أن ذلك لم يؤثر سلبا على سلوكه مع ولديه .

وفي رحلة جون إلى مدينة مكسيكو سيتي ، بحثا عن بذور نباتات الذرة المهجنة ، إصطحب معه ولديه سام وسيمون إلى أجمل بقعة هناك، حدائق تشابولتيبيك، وهناك ركض كل من سام وسيمون بإنتشاء ،حيث تقع تلك الحديقة على تكوين صخري في وسط المكسيك يسمى تلة تشابولتيبيك ، تعتبر هذه الحديقة، الرئة الرئيسية لإصدار الأكسجين في وادي المكسيك نظرًا لما تحتويه من كمية هائلة من الأشجار، وتتوسطها نافورة تاركامو دي تلالوك التي تم بناءها في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٥٢ ، لالتقاط المياه المرسلة إلى وادي المكسيك من حوض نهر ليرما في وادي تولوكا ، كما يحتوي هذا القسم من الحديقة أيضًا على التكوين الجيولوجي الذي أعطى الحديقة اسمها « تشابولتيبيك هيل»، وهو تشكيل من الصخور البركانية ، كان سام وسيمون مولعان بالنوافير والبحيرات الصغيرة ، ولقد كانت بحيرة لاغو مينور هناك ، على قدر من الجمال والفتنة لتسلب لبهما ، وخاصة بوجود الأعشاب المختلفة بداخلها وحولها ، حيث وقف سيمون هناكيطلق صفير إعجاب طويل ، بينما سام يصفق بيديه في مرح وهو يحاول أن يتسلق الحوض لينحني أكثر ، الأمر الذي جعل والده في قلق يجذب ثيابه من جهة الخلف برفق، وهو يهز رأسه في حزم بينما يقول :

- عليك أن تكون حذرا يا سام ، أخشى أن حبك للنباتات قد يرديك.

و بالقرب من تلك الحديقة كانت تقبع كل من نافورة ليزاهواكويوتل، وفوينت دي لاس راناس، ونافورة كيشوت، ونافورة تيمبلانزا، وتحديدا عند تلك الأخيرة توقف كل من سام وسيمون للحظات قبل أن يلتفا حولها في شغف ، في هذه الأثناء إبتعد الأب عنهما قليلا لملاقاة رجل ما.

وهنا تحرك سيمون حول النافورة ببطء قبل أن يتوقف ناحية

الجهة اليسرى للنافورة وهو يفرك ذقنه في ذهول ، ثم إلتفت يهتف بإسم أخيه سام في حماسة ، الذي كان هو الآخر يتحرك حول النافورة ، ولكن في الإتجاه الآخر بينما يتلمس حواف حوض النافورة المزخرف بأصابعه الصغيرة في إفتتان قبل أن يتوقف ، حينما تناهى إلى مسامعه صوت سيمون وهو يقول :

-سااااام تعال إلى هنا ، لقد وجدت شيئا عجيبا .

في هذه الأثناء كان والدهما جون قد إبتعد عنهما قليلا، حين تقدم منه رجل ضخم الجثة أصلع الرأس له شارب كث ، مد جون يده لمصافحته بينما يقول في إهتمام :

-مرحبا سيد أندريه هائنذ أتيت في الوقت المحدد ، أرجو أن تكون قد وفرت لي البذور التي طلبتها منك.

هز أندريه رأسه موافقا قبل أن يرفع حاجبيه في دهشة وهو يسأل جون:

-لكن سيد جون الكمية التي طلبتها من البذور ليست كثيرة ، أنا مندهش كيف ستكفيك! أنا أعرف أنك تملك أربعة دونمات ، أم أنك تتعامل مع شخص آخر غيري .

هز جون رأسه نافيا بينما يقول في عصبية:

- سيد أندريه إنها تكفيني حقا ، لقد أخبرتك من قبل أنني لا أعرف تاجرا غيرك في هذه المدينة ، أنا فقط لا أملك المال الكافي لشراء المزيد ، كما أنني سأزرع الذرة لأول مرة في مزرعتي ، هذا كل ما في الأمر .

قالها وأخرج من جيبه عدة أوراق نقدية و صرة بها نقود معدنية وناولها لأندريه تناولها الأخير في سرور قبل أن يمد يده إلى حقيبة معلقة في كتفه ويخرج منها كيس محكم الإغلاق ، قام بفضه أمام جون قبل أن يتناول حفنة من هذه البذور، فتح يده أمام جون الذي أخذ

يرمقهـا بإهتـمام ، هـز رأسـه في هـدوء وهـو يتنـاول الكيـس مـن أندريـه ويقـول في حـزم:

-أرجوا أن تكون هذه البذور جيدة حقا ، شكرا أندريه.

أجابه أندريه في ثقة :

-هي كذلك.

ثـم لـوح لـه هـذا الأخـير براحتـه اليـسرى بينـما يـدس المـال في جيـب سـترته الأمامـي بيـده الأخـرى ، مبتعـدا وعـلى وجهـه إبتسـامة صفـراء بـاردة ومخيفـة .

أعجوبة حقيقية

حاول سام أن يشرأب بعنقه الصغير ليرى سيمون ، لكنه عجز، إذ كانت النافورة عائقا بينهما، مما جعله يتحرك بسرعه إلى حيث يقف سيمون وهو يقول في فضول :

-سيمون مالأمر يا أخي ، أخبرني ماذا وجدت .

وهنا إبتسم سيمون في ظفر وهو يشير إلى عامود النافورة الرخامي بينما يقول:

- هذه النافورة مائلة قليلا يا سام .

حدق به سام في بلاهة قبل أن ينقل بصره بين سيمون والنافورة ثم يقول في دهشة:

-لا يبدو لي ذلك ، لكن كيف عرفت؟

إبتسم سيمون في دهاء ،إتسعت عينا سام في ذهول وهو يراقب سيمون وهو يتسلق حوض النافورة ، حاملا علبة صغيرة في يده ، ليسير بتوازن على حافة الحوض بعيدا وهو ويرفع العلبة عاليا حيث تدفقت زخات الماء المنبعث من النافورة وتجمعت بداخلها ، ثم توقف سيمون عن السير ووضع إشارة حمراء إلى الحد الذي وصل عنده الماء ، قبل أن يقوم بنثره خارج العلبة بعيدا ، ثم تحرك إلى حيث كان يقف هو و سام وكرر ماقام به ، لكنه إستخدم قلما أسودا هذه المرة ، ثم هبط على قدميه أسفل النافورة ، حيث يقف سام ورفع العلبة أمام عيني هذا الأخير ، وهو يقول في ثقة وعلى وجهه إبتسامة عريضة :

- إنظر إلى الإشارتين،، الحمراء والسوداء على العلبة ، ستجد أن الإشارة السوداء تشير إلى مستوى مياه أعلى ، من تلك التي تشير إليها الحمراء ، وهذا يعني أن النافورة أقرب إلى الأرض حيث نقف نحن أو

أنهـا مائلـة قليـلا ، أنظـر هنـا يـا سـام، أحدهـم تـرك رسـالة لصديقـه ، يبـدو أنـه الشـخص الـذي شـيد هـذه النافـورة.

قالهـا وهـو يشـير إلى أسـفل حافـة الحـوض الرخامـي الأبيـض ، وهنـا إنحنـى سـام نحـو تلـك البقعـة ،قبـل أن يقـول وهـو يغمغـم في إنبهـار:

-نعم لكنه خط صغير جدا ، هل يمكنك أن تقرأه لي يا سيمون ؟

إبتسـم سـيمون في ثقـة وهـو يخـرج مـن جيـب سروالـه ، عدسـة مكـبرة لامعـة لهـا مقبـض أزرق ، ويناولهـا لسـام بينـما يقـول في هـدوء وبنفـس الإبتسـامة :

-جرب بنفسك يا أخي الآن تستطيع ذلك.

إبتسـم سـام ، وفي حماسـة تنـاول العدسـة مـن أخيـه سـيمون وقربهـا مـن حافـة الحـوض بينـما يتمتـم في سـعادة :

-شكرا لك أخي سيمون ، كم أنا سعيد لذلك .

ثـم بـدأ يتهجـأ مـا كان منقوشـا عـلى حافـة الحـوض بـدءا بصـوت خفيـض ، ثـم بصـوت مسـموع :

-مـن كرياتـو لا فينـو لصديقـه الوحيـد هـنري ، ربمـا المـوت فـرق بيننـا لكنـه لم يجعلنـي أنسـاك أبـدا حتـى وأنـا أشـيد تلـك النافـورة لصالـح الملـك ، صنعـت هـذه النافـورة مائلـة قليـلا نحـو الأرض ، كي لا ننـسى أن مراتـب الـشرف والعلـو التـي حظينـا بهـا ، إنمـا ترجـع لأحبتنـا المخلصـين لأولئـك الذيـن منحونـا كل شـيئ واندثـرو تحـت الأرض .

قالهـا وبمجـرد إنتهائـه ، أخـذ ينقـل بـصره في إنفعـال مـا بـين سـيمون الـذي وقـف والدمـوع تمـلأ عينيـه متأثـرا و تلـك النقـوش عـلى حافـة الحـوض هنـاك، قبـل أن يسـأل سـيمون في فضـول :

-هل سبق وأن رآها شخص آخر غيرنا يا سيمون ؟

إبتسم سيمون وهو يقول في هدوء :

-نعـم ، أعتقـد ذلـك، لكـن لم يلاحظهـا أشـخاص كثـيرون ، إنظـر هنـاك

بأسفل هذه الكتابة توقيع آخر يحمل رسالة مبهمة أخرى ، من شخص آخر يدعى أليخندرو إلى حبيبته لوسيانا ، إنه يقول فيها "سأذكرك دوما لوسيانا ، يا بائعة الزهور الرقيقة ، أحبك ، من أليخندروا.

قالها ، وبمجرد إنتهائه إبتسم في هدوء ، أما سام فلقد تنهد في أسى وهو يخلع قفاز له رأس أرنب عن يده ، ويدسه في جيبه لتبدو يده المشوهة،قبل أن يقول في حزن :

-السيد أرنب من الأفضل أن لا تسمع ما سأخبر به سيمون عن يدي ، إبقى داخل جيبي قليلا ولا تسترق السمع.

حدق به سيمون في إنفعال قبل أن يحيط ظهر سام بذراعيه ، ويومئ برأسه نافيا ، لكن سام أكمل في أسى وهو يطرق رأسه في حزن وهو يقول :

- لا يمكنني أن أفعل شيئا عظيما بيد واحدة يا سيمون ، يدي الأخرى مشوهة أنا مثل العكاز ليس لدي سوى يد واحدة ضعيفة.

هز سيمون رأسه نافيا وهو يقول في حزم:

-ليس صحيحا يا سام ، رغم أن العكاز له يد واحدة كما تقول لكن الأخرين يعتمدون عليه ، لأنه قوي ، بوسعك أن تقوم بكل شيئ، ثم هل نسيت أنك تساعد والدي في المزرعة ، أعتقد أن في يدك تلك التي تنعتها بالمشوهة، قوة هائلة ، تجعل النباتات تنمو بشكل جيد ، لقد سمعت أبي يقول شيئا عن ذلك لأمي.

حدق به سام في دهشة ، ثم لم يلبث أن سأله بسرعة :

-حقا !؟

وهنا أومأ سيمون برأسه موافقا ، ثم إشرأب بعنقه ، يختلس النظر إلى والدهما الذي كان قد إقترب منهما كثيرا ، قبل أن يقول في قلق:

- سأخبرك بأمر يخص أبي، لكن عدني أنك لن تخبره أو أي أحد بالأمر .

هز سام رأسه موافقا بسرعة عدة مرات ، قبل أن يقول في فضول :

-نعم أخبرني،،، أخبرني .

صمت سيمون للحظات ، ثم لم يلبث أن أردف في حماسة:

-ما رأيك أن أكتب لك هنا كلمات سرية؟

إتسعت عينا سام في إنفعال جارف وهو يحدق في عيني سيمون ، بينما يضم يديه أمام ذقنه في رجاء وهو يقول:

-هل بوسعك أن تكتب لي شيئا يا سيمون هنا ؟

فكر سيمون قليلا ثم لم يلبث أن هز رأسه موافقا وهو يختلس النظر إلى والده الذي كان يسير نحوهما من بعيد ، ثم انحنى نحو البقعة ذاتها ، و أخرج من جوربه مدية فضية صغيرة ، خط بطرفها المدبب ، أسفل الكتابة السابقة لصانع النافورة، بضع كلمات بسرعة ، كان صوت إحتكاك المدية برخام الحوض مزعجا لدرجة أن سام أغلق أذنيه في ضيق وهو يقول في عصبية :

- يا إلهي ، هل أنتهيت يا سيمون ، إن ذلك يصدر صوتا مزعجا للغاية .

وفي هذه اللحظات كان والدهما قد إقترب منهما كثيرا ، الأمر الذي جعل سيمون يخفي المدية في جيبه وهو يقترب من سام وينحني ليلصق شفتيه في أذنيه ويقول في هلع:

-لا تخبر أبي بأمر النافورة أبدا يا سام هل تفهم ؟

كان سام حينها يشعر بالخوف ، الأمر الذي جعله يقول في قلق وغضب:

-حسنا يا سيمون أعدك أن لن أفعل ابدا ، لكنني لم أقرأ ما كتبته لي عن أبي بعد .

هم سيمون بأن يقول ل سام شيئا ، إلا أن والدهما جون هتف بهما في عصبية :

-هيا بنا يا أولاد ، كفى عبثا ، لقد تأخرنا كثيرا ، رحلة العودة تستغرق وقتا طويلا ، لا أريد لأمكما أن تقلق عليكما.

مضت أشهر ونسي سام أمر الرسالة السرية ، لكنه حافظ على وعده الذي قطعه لسيمون ولم يخبر أحدا عن أمر النافورة أبدا.

وبعد مضي عدة سنوات ، سقطت ماريا طريحة الفراش ، بمرض عجيب ولم يستطع أي طبيب معالجتها أو حتى تشخيص مرضها بشكل صحيح ، أما ماريا فلقد كانت تشعر في قرارة نفسها أن الأمر يتعلق بصاحبة المزرعة ، السيدة كينلاريا ، أو أن تأنيب ضميرها في وقوفها عاجزة عن رد ظلم زوجها عن تلك السيدة ، جعلها تشعر بذلك ، وبجانب سريرها الخشبي ذو الأعمدة البيضاء، كان زوجها جون عاكفا على تقديم الدواء لها ،ورعايتها.

وعلى باب حجرتها ، وقف سام ،بشعره الفاحم و بعينين سوداوتين، وحيدا وشاردا الذهن ،ومن عينيه تطل نظرات حزن وقلة حيلة ، بينما يرمق والده جون في شرود، الذي تناثرت خصلات شعره على جبينه في إرهاق، وهو يصب الماء البارد في وعاء بجانب أمه ، كان بوسعه أن يرى ذلك عبر باب حجرة نوم أمه المواربة ، بوسعه أن يرى شحوب وجهها وأنينها المتقطع الذي كان يقطع وتين قلبه ، لكن ليس بوسعه الدخول هناك ، كان سام كلما حاول الدخول إلى هناك ، حيث ترقد أمه ،يمنعه والده ، ذات مرة جذبه من ذراعه و أخرجه بقوة ، ثم أستدرك قسوته الغير مبرره بأن ربت برفق على كتف سام ، قبل أن يقول في أسى بليغ:

-متأسف يا بني لكن لا يمكنك الدخول هناك ، أمك مريضة للغاية وبحاجة للراحة.

لكن سام نظر في حيرة في وجه أبيه قبل أن يعيد خصلات شعر الأخير المتناثرة على جبينه بأصابعه الصغيرة إلى مكانها وهو يقول في

بـراءة، بينـما يحـدق في عينـي والـده في حـيرة :

-لكننـي مشـتاق لأحضـان أمـي، منـذ وقـت طويـل لم تأخـذني بـين ذراعيهـا ، لمـاذا لا يمكننـي الدخـول هنـاك ، لسـت افهـم ، إنهـا أمـي وأنـا أحبهـا كثـيرا.

جاهـد جـون في محاولـة يائسـة للمحافظـه عـلى نـبرة صوتـه، التـي تهدجـت رغـما عنـه بينـما يضيـف في أسى بليـغ:

-هذا المرض معد يا بني ، لذلك لا يمكنك الدخول هناك .

هز سام كتفيه في حيرة وأسف قبل أن يردف:

-ومـا الـذي تعنيـه كلمـة معـد يـا أبتـي ، ولمـاذا يمكنـك أنـت فحسـب الدخـول هنـاك .

أجابه جون في حزم وهو يضع يده على المزلاج، ويغلق الباب:

-إنهـا تعنـي أنـك معـرض للإصابـة بنفـس المـرض يـا بنـي، إذا إقتربـت مـن والدتـك ، هـذا المـرض قـوي يمكنـه ان يدخـل إلى أي جسـد بسـهولة . إنـك صغـير وضعيـف ، أنـا اكـبر منـك وأدخـل هنـاك لأن امـك بحاجـة لمـن يرعاهـا ويقـدم لهـا الـدواء ، ثـم إننـي أحـاول قـدر الإمـكان أن أكـون حـذرا.

سام في عصبية :

-ليتني قوي لأدخل إلى أمي وأقتل هذا المرض وأطرده خارج المنزل

أضاف جون في شفقة:

- إننـي أبـذل جهـدي، القـوي والقديـر هـو اللـه ، إطلـب منـه أن يشـفي والدتـك ، إنـه يسـمعنا ويجيـب دعاءنا.

قالهـا وأشـار بيـده للسـماء قبـل أن يضـع يـده عـلى قلـب إبنـه ، الأمـر الـذي جعـل سـام يمـط شـفتيه في إعـتراض وهـو ينظـر إلى السـماء في حـيرة، قبـل أن يقـول في غضـب :

- ليتني كنت إلها إذا لأشفيها ، أو لعلي لم أجعلها تمرض أبدا.

ربـت جـون عـلى كتـف سـام برفـق كنـوع مـن المواسـاة، لكنـه إنتفـض

فجأة من رأسه حتى أخمص قدميه وتراجع للوراء مصعوقا ، كما لو أن تيارا كهربيا قد مسه ، الأمر الذي جعله يحدق بذهول في إبنه!

لم يكن الأمر عاديا ، لكن جون إعتقد أن الإنهاك إستولى على عقله وجعله يتخيل وخزات كالصعق، حينما ربت على كتف إبنه.

مضت عدة أيام وحال الأسرة كما هو عليه، الأم ترقد في فراشها والأب عاكف على مداواتها وعلى الإهتمام بشئون المنزل والمزرعة ، ولقد كانت الأخيرة تستنفذ كل قواه فهناك يقبع قوت الاسرة ودعامها الأساسي ، حيث كان جون يعمل في زراعة بعض الخضراوات كالجزر والبازلاء والخس شأنه شأن القروين الآخرين ، ولقد كان سام وشقيقه سيمون يساعدان والدهما في بعض شئون المنزل والمزرعة قدر الإمكان ، لكن بسبب معاناة سام من تشوه في يده منذ الصغر ، كان أبناء القرية ينفرون منه ويسخرون به ، ولقد ساهم ذلك في صقل شخصيةسام ، والتي كانت عدائية بعض الشيئ وممتلئة بالتوحد.

حيث كان سام يقضي بقية يومه في اللعب مع أخيه سيمون ، إذ كان هذا الأخير بمثابة الصديق والروح لسام ، ولقد كانا مولعين بتربية النباتات والزهور ، ولقد ساهم في ذلك كون والدهما فلاحا ، منغمسا حتى أذنيه في الزراعة وتربية بعض الحيوانات ، أما عن لعبة سام وسيمون المفضلة، فلقد كانت إستكشاف الغابة والإختباء فيها ، ورغم صغر سنيهما، كانا شجاعين.

عيد ميلاد حزين

وفي عيد الميلاد بينما تجري التحضيرات في سائر البيوت ، في قرية ليرما، كان منزل جون قد خيم عليه حزن شديد بسبب مرض ماريا ، لم يرد كل من سيمون و سام مشاركة القرية في الإحتفال ، لكن جون كمحاوله منه لبث السعادة في قلبيهما ، طلب منهما أن يشاركا في صناعة الجرار ، الخاصة بتقليد (البنيتا) والذي قد يدفع الشر عن عائلتهم ويسهم في شفاء والدتهما من المرض ، وبالفعل قام الأب بصناعة الجرار وتركها لتجف ، ثم بدأ بصناعة الحواف (المخاريط) المدببة، وحينما جفت طلب من سام وسيمون تغطيتها بالأوراق الملونة ، فرح سام كثيرا بالأمر ، ثم لم يلبث أن أصابه الملل ، فطلب من سيمون مرافقته للغابة للبحث عن الزهور الملونة والنباتات النادرة قائلا في نبرة لا تخلو من الملل:

-سيمون هيا بنا يا أخي إلى الغابة ، أشعر بالضجر من البقاء هنا، وقص الأوراق الملونة ، وافقه سيمون بإيماءة من رأسه بينما يبتسم ثم قال:

-حسنا يا أخي لك ما أردت ، لكن عدني أننا سنكمل صناعة (البنيتا) حينما نعود حتى لا يتهمنا والدنا باللا مسؤولية .

هز سام رأسه موافقا ، وسارا جنبا إلى جنب نحو الغابة بإخضرارها القاتم ، أو نحو المجهول ، ولم يدر حينها سام أنه لن يفي بوعده االذي قطعه لسيمون للأبد.

السماء صافية ولا شيئ يعكر مزاج سام حيث يحمل قبعته المصنوعة من القش والمربوطة بعناية في حقيبته البنية ، كان سام قد ورث عن والده جون حبه للأرض والزراعة ، حيث لم يكن ليكف عن

حشو حقيبته بالأعشاب والزهور التي كانت تسرق لبه ، بينما يطلق ضحكات عبثية متقطعة وهو يلاحق السناجب هنا وهناك ، ويمد يده ليقطف لأزهار الملونة والنباتات العجيبة والتي كانت بمثابة كنز لسام، حيث كان يقوم بإعادة زراعتها في حديقته الصغيرة الموجودة في الفناء الخلفي لمنزل العائلة، كان سام يقوم بذلك بينما يستمع لزجر سيمون في لامبالاة ، وهنا عقد سيمون حاجبيه في غضب وهو يقول لسام في لهجة حازمة وساخرة بعض الشيئ:

-لا تلمس تلك النباتات فمنها السام يا سام .

وهنا أطلق سام ضحكة عبثية، وأستمر بالركض وراء الفراشات وتفحص الأزهار بيده المشوهة ، كانت لمساته لتلك الزهور كفيلة بأن تنسيه أمر يده والعالم ،لكنه فجأة قفز لذهنه صورة والدته المريضة فتوقف عن الركض، إلتفت إلى سيمون الذي كان يلاحقه في قلق وفراغ صبر ، قبل أن يقول في إنفعال :

- سيمون أنظر هناك أليست تلك الزهور الحمراء هي زهور الميلاد.

حدق سيمون في هدوء بالزهور قبل أن يقول في ثقة :

-نعم هي كذلك.

نقل سام بصره ما بين الزهور وسيمون ، قبل أن يردف في أسى :

-يقال أن تلك الزهور هي زهور مقدسة ، هل تعتقد أن بإمكانها أن تشفي أمي من مرضها؟

حدق فيه سيمون بدهشة قبل أن يهز كتفيه بينما يقول في حيرة:

-لا أدري حقا يا سام ، لم يسبق لي أن سمعت بأنها تستخدم في المداواة.

لكن سام تجاهله وانحنى نحو تلك الزهور ثم قام بقطف بعضها من جذورها ، ولم يكن الأمر هينا ، لكنه إستطاع مع القليل من العناء، خلعها برفق ، ثم دسها في حقيبته التي بدت كما لو كانت

ستنفجر من شدة الإمتلاء ، والأتربة العالقة في هذه الجذور تتناثر خارج الحقيبة بينما سام يعاود السير بسرعة ، قبل أن يقول في لهجة متحمسة :

-سأحاول أن أجعلها تشمها ، إنها ليلة الميلاد ، ربما تتحقق الأمنيات.

هز سيمون كتفيه في حيرة قبل أن يقول في هدوء :

-لا أدري ، حاول يا سام هذا إن نجحت في الوصول إلى حجرة أمي أساسا.

تبادل سام وسيمون نظرات التحدي قبل أن يعود سام للركض وخلفه سيمون ، ثم توقف فجاة ولمعت عيناه في ظفر قبل أن يخفضهما في أسى وهو يحدق في نباتات هوائية كانت قد تسلقت حافة جسر خشبي يصل بين ضفتي نهر ليرما ، كان الجسر في حالة ترميم ، وقد كتب على لوحة بجانبه (إنتبه لا تعبر الجسر ، فهو في حالة ترميم، ينتهي العمل به بعد يومين ، يمكنك عبور الطريق الملتف الآخر .

تبادل كل من سام وسيمون نظرات قلق ، قبل أن يقترب سيمون من سام ويربت على كتفه بينما يقول في حزم.:

- سام فلنعد الآن ، لقد تأخرنا كثيرا ، سيقلق علينا أبي ، ثم إن الإحتفالات ستبدأ الليلة ولم ننه صناعة (البنيتا).

لكن سام قال في ضجر وهو يزيح كف سيمون عن كتفه:

-لا أريد أن أعود إلى المنزل الآن، تلك النباتات فاتنة للغاية أريد الحصول على بعض منها، كما لا تهمني الإحتفالات السخيفة ، مازال هناك وقت لإكمال عمل الجرار، لا تقلق.

قالها تاركا سيمون خلفه وركض نحو الجسر الذي بدأ يتأرجح ، بينما سام يخطو على عتباته الخشبية الأولى بحذر ، لحق به سيمون مسرعا بينما يصرخ في هلع:

-لا يا سام عد إلى هنا ، لا تكن عنيدا، قد ينهار بك الجسر في أي لحظة.

لكـن سـام إكتفـى أن ينقـل بـصره بـين النباتـات الملتفـة عـلى الحـواف الخشـبية الأخـيرة للجـسر ، وسـيمون الـذي يقـف خلفـه ويمـد ذراعـه نحـوه بينـما ترتسـم عـلى وجهـه إمـارات الرعـب. ثـم قـال في حنـق:

-دعنـي وشـأني قـف مكانـك ، أنـا أقـل منـك وزنـا سـيحتملني الجـسر ، سـأصل إلى نهايتـه بسرعـه وأقطـف تلـك النباتـات إنهـا تشـبه التلاندسـيا ، لقـد أحببتهـا ، لا أسـتطيع أن أعـود بدونهـا ، مـضى وقـت طويـل وأنـا أبحـث عنهـا.

وهنـا بـدأ الجـسر يتأرجـح بينـما يصـدر صوتـا مخيفـا كـما لـو كانـت إحـدى عتباتـه أو كلهـا سـتتحطم، في هـذه الأثنـاء وصـل توتـر سـيمون ذروتـه وهـو يشـاهد شروخـا بـدأت تظهـر في العتبـة التـي يقـف عليهـا سـام ، الأمـر الـذي جعلـه يلحـق بـه بينـما يـصرخ في لوعـة :

-إحترس يا سام ، إن العتبات بدأت بالإنهيار .

ومـع صراخ سـيمون الأخـير، حـدق سـام في العتبـة تحـت أقدامـه ، وإتسـعت عينـاه في رعـب ، وتناهـى إلى مسـامعه صـوت تحطـم ، مخيـف وهـادر للغايـة.

الجشع الأسود

وقف السيد خوسيه ، في الأربعين من عمره، قصير القامة ، أصلع الرأس ، له عينان واسعتان مخيفتان، تشع من أحداقه نظرات الجشع والكراهية ، محدقا بالقروي المسكين ألفريدو ، عجوز في الستين من عمره ، يستند على عكازه في وهن بينما يقول في نبرة أقرب للبكاء من التوسل :

-أرجوك سيد خوسيه ، أعدك أنني لن أقصر في عملي مجددا، ولن أخلد إلى الراحة أثناء العمل، دون أن أحصل على إذن منك.

رمقه السيد خوسية بنظرة إحتقار بينما يقول في إستعلاء وهو يلوح بيديه، حيث يرتدي في بنصره خاتمين من الذهب الخالص :

-ألفريدو أيها المسن الضعيف الأحمق ،لا حاجة لي بأمثالك للعمل في مزارعي ، إنك عالة علي ، إذهب إلى بيتك وأبقى هناك للأبد .

جثى ألفريدو على ركبتيه بينما يبكي في مرارة وهو يقول :

-أرجوك كن رحيما بي ، آلا ترأف بحالي

وقاطعه خوسيه في غطرسة بينما يشعل غليونه ، ثم ينفثه في غرور قبل أن يقول :

-صه يا رجل ، ألم يعلمك أحد كيف تحترم السادة.

نهض الرجل في وهن ، ثم قال محاولا أن يستعيد رباطة جأشه في نبرة حازمة :

-ألم يعلمك أحد كيف تعامل الضعفاء ، القدير لك ولأمثالك بالمرصاد.

عقد خوسيه حاجبيه في غضب قبل أن يركل ألفريدو وهو يشير إلى حراسه في صرامة :

-إغـرب عـن وجهـي أيهـا الحقـير ، خـذوه ولقنـوه درسـا قاسـيا ثـم أطعمـوا جثتـه للـكلاب.

صرخ الرجـل في رعـب بينـما الحـراس يجذبونـه مـن ثيابـه في قسـوة ويلقـون بـه خارجـا ، ثـم ينهالـون عليـه ركلا وضربـا في غضـب بينـما يقـول أحـد هـولاء الحـراس في صرامـة:

-عليك إحترام السادة أيها الجرذ الحقير.

ومـن خلـف إحـدى الأشـجار وقـف يرمقهـم حفيـد العجـوز المسـكين ألفريـدو بينـما يبـكي في أسى وقلـة حيلـة وهـو يسـتمع إلى صراخ جـده .

هستيريا (من أنا)

وقف جون في غرفة المعيشة، أمام مرآته ذات الإطار البني المذهب، يحدق في وجهه شارد الذهن ،قبل أن يفرك رأسه في عصبية ويتجه إلى الطاولة التي تتوسط الحجرة ويلقي بجسده على أحد المقاعد هناك بينما يخرج علبة دواء صغيرة من جيبه ، يبتلع بعض من تلك الكبسولات الزرقاء بينما يغمغم ببطء :

-لماذا أنا هنا في هذا المنزل ، ولم ينعتني هؤلاء الصبية بأنني والدهما ، عجيب !

ثم هز رأسه بينما يفرك عينيه وهو يقول :

-تذكرت ، أنا جون ، ياإلهي مالذي يحصل لي ، أعتقد أن علي زيارة الطبيب بشكل عاجل ، لكن كيف ذلك وزوجتي ماريا طريحة الفراش لمن سأتركها ولا أقارب لها هنا ، و ثم بتر عبارته وهو يقول في ذهول :

-ماريا ! من هي ماريا ؟

ثم أسند رأسه على الطاولة بينما يفكر في جنون ، لماذا يحدث هذا له ، لماذا يشعر بأن ثمة شخص بداخله ، شخص سيئ ولا مبال ، بينما هو أب حنون وقروي ناجح ، رغم موت ساندرا في حادث السير اللعين ، وشعوره باليأس جراء ذلك ، إلا أنه كان يعتقد أنه يجب أن يبقى في ليرما ، من أجل رعاية ولديه وزوجته الحبيبة ماريا ،ولم يسأل نفسه من هي ماريا هذه المرة ، فصوتها وأنينها من الحجرة المجاورة كانا يجيبانه.

السقوط مرتين

لم تكن العتبات التي إنهارت ، هي تلك التي تحت أقدام سام ، بل حيث يقف سيمون ، وإنهارت العتبات به بينما يصرخ في ذعر وهو يسقط ، أطلق سام صرخات ذعر وأجهش بالبكاء بينما يتحرك ناحية الفتحة التي أحدثها سقوط سيمون ، كان جسد سيمون قد إرتطم في الماء بعنف ،وغاص في الأعماق وهو يمد يده لسام، جن جنون سام بينما يقف غير مصدق وبدأ بالصراخ في ذعر ، ثم بحركة لا إرادية قفز في النهر ، لم يكن سام يستطيع السباحة لكنه قفز ، وتناثرت النباتات من حقيبته هنا وهناك لتطفو على الماء ، وهنا ظهر جسد سيمون على السطح بينما يسعل في ألم ويشهق غير قادر على التنفس، بإبتلاعه بعض الماء ، حاول سام جذب سيمون لكنه لم يستطع الصمود في النهر، وفي هذه اللحظات ظهر رجل عند حافة النهر وقفز إليهما بسرعه ، وأحاط بجسد سيمون بذراعه اليمنى بينما يجذب سام من ياقة قميصه في محاولة لرفعه للأعلى ، كان سيمون قد غاب عن الوعي بينما ينساب الدم من جرح غائر في قدمه ، أما عن سام فلم يكف عن الصراخ للحظة واحدة حتى حينما حملهما الرجل للبابسة وهو يلهث قبل أن يلتفت إلى سام ويقول في صوت هادئ وهو يشق قميصه ليضمد جراح سيمون :

-هون عليك يا صغيري لقد تغمدكما الله برحمته ونجوتما، ما كان عليكما أن تعبرا النهر ، ألم تشاهدا اللوحة المعلقة هناك، مازال الجسر في حالة ترميم.

تأوه سيمون في قوة بينما الرجل يضغط على الجرح ليوقف النزيف .

أما عن سام فلقد كان يحدق طوال الوقت في سيمون ، بنظرات ملئها الأسف والإعتذار قبل أن يسأله الرجل في إهتمام :

- من أنت يا صغيري ، ومن أين جئتما.

غمغم سام قليلا ثم أجابه في قلق:

-إسمي سام جون ، وهذا أخي سيمون لقد جئنا من قرية ليرما لنكتشف الغابة.

هز الرجل رأسه في تفهم ، قبل أن يسأله سام في حيرة بينما هو يخرج بعض النباتات من جيب سرواله ، ثم يسحقها بحجر ، ويضعها على جرح سيمون بمهارة ويلفها بإحدى الأربطة التي صنعها من قميصه الممزق:

-من أنت يا سيدي ، ولماذا تحمل هذه الأعشاب في جيب سروالك، هل أنت طبيب ، ما إسمك ؟

كان سيمون في هذه اللحظات قد هدأ تماما ، إبتسم الرجل وقال في ثقة:

- إسمي أميجو فرادو يا صغيري، أنا خبير في المداواة بالأعشاب ، وهذا من حسن حظيكما ، أما الآن دعوني أوصلكما إلى البيت ، لا بد أن والديكما قلقان عليكما جدا .

على الرغم من إحساسه الشديد بالذنب تجاه سيمون ، لم يكف سام عن توجيه الأسئلة للسيد أميجو بشأن النباتات المختلفة وطبيعة إستخدامها حتى وصلا إلى منزلهما ، وهناك عند عتبة الباب وقف والدهما قلقا ببنطاله البني معتمرا قبعته المصنوعة من القش ، عاقدا ذراعيه أمام صدره ، بينما ترتسم على وجهه إمارات الغضب والقلق ، وبمجرد أن رآهما مع أميجو تحرك تجاههم في قلق بينما يمد يده ليصافح أميجو ، وبترحاب مد أميجو يده بينما يقول في تؤدة :

-أهلا بك سيد جون سررت برؤيتك ، أنا أميجو فرادو عالم متخصص

في علـم الأعشـاب ولقـد شـاهدت ولديـك مصادفـة وهـما في النهـر غـير قـادران عـلى السـباحة ، فقدمـت لهـما يـد العـون ، وقمـت بواجبـي كطبيـب مختـص بالأعشـاب.

كان سـيمون يعـرج عـلى قدمـه في ألم بينـما سـام مطرقـا رأسـه في أسـف، وبسـبب حالـة سـيمون ، ووجـود السـيد أميجـو ، إكتفـى الأب بمعاتبـة ولديـه بعبـارة قصـيرة ، لكنـه لم يسـتطع أن يخفـي حنقـه الشـديد،بينما يقـول:

- لقد أسأتما التصرف إذن مجددا.

أمـا السـيد أميجـو وفي محاولـة للتخفيـف مـن موجـة غضـب جـون العارمـة ، ربـت عـلى كتـف هـذا الأخـير في إنفعـال وهـو يقـول أميجـو:

-هـون عليـك سـيدي كل شـيئ عـلى مـا يـرام ، كـما أن جـرح سـيمون ليـس غائـرا ولله الحمـد وسـيتماثل للشـفاء بـإذن اللـه ، لقـد عالجتـه بضـمادات عشـبية.

حـدق جـون في وجـه أميجـو بنظـرات العرفـان قبـل أن يقـول لـه وهـو يدعـوه للدخـول إلى حديقتـه الخلفيـة:

-أرجـوك تفضـل سـيد أميجـو بتنـاول العشـاء معنـا ، كـم أنـا عاجـز عـن شـكرك ، لقـد أنقـذت حيـاة إبنـي .

إبتسم أميجو في تهذيب قبل أن يقول في لطف :

-لا داعي للشكر سيد جون ، لقد قمت بواجبي.

وبعـد تنـاول العشـاء ، عـرض جـون عـلى أميجـو البقـاء والمشـاركة في الإحتفـالات، وافـق أميجـو عـلى الفـور وشرع كل مـن أميجو وسـام وسـيمون في إكـمال تزيـن جـرار (البنيتـا) أمـا عـن جـون فلقـد ذهـب لتفقـد زوجتـه وتقديـم الـدواء لهـا ، وفجـاة بينـما هـو يعطيهـا جرعـة الـدواء ، إلتفتـت إليـه ماريـا والعـرق يتصبـب عـلى جبينهـا ، قبـل أن تقـول في خفـوت وقلـة حيلـة:

-جون لقد بت أشعر أنني حمل ثقيل عليك، سامحني يا زوجي.

مسح جون على رأسها بحنان بالقفازات التي يلبسها قبل أن يبتلع ريقه بصعوبة ويهمس في أسى:

-زوجتي الحبيبة ماريا ، لا تقولي هذا ، أتمنى أن تتماثلي للشفاء سرعة ،وتعود البسمة على وجهك .

إلا أنها أردفت في وهن شديد:

-أين سيمون وسام أريد أن أراهما ، دعهما يقفان عند باب الحجرة، لقد إشتقت لألمس ولداي وأخذهما في أحضاني ، ياإلهي لقد تعبت ساعدني.

حاول جون أن يتماسك أمام زوجته قليلا ، ليمنحها بعض الثقة وهو يقول مطمئنا:

- حالما يستيقظان سأحضرهما لك يا غاليتي.

هزت ماريا رأسها ببطء أن فهمت، قبل أن تغلق عينيها وتستسلم للنوم، للحظات خيل لجون أن حجرا طابقا على صدره ،ورغما عنه أجهش بالبكاء الخافت وهو يدفن وجهه بين ذراعيه، مضت لحظات قبل أن تنتزعه من حالته طرقات على باب حجرته ، ويأتيه صوت سيمون ، وهنا تذكر جون أنه ترك كلا من سام وسيمون بصحبة أميجو ، جفف دموعه براحتيه بسرعة قبل أن يستعيد رباطة جأشه ويخلع قفازيه ويضعهما على المنضدة القريبة من سرير زوجته ، وبخطوات سريعه وصل إلى الباب وفتحه ، وهناك كان عند الباب سيمون يقف متكأ على عكاز خشبي ، وعى وجهه علامات الإعياء.

حدق الأب بإبنه معاتبا قبل أن ينحني ليحمله وهو يقول في حزم:

-لماذا تجهد نفسك يا ولدي ، إنك مازلت مصابا ، أمك بخير ، وغدا بإذن الله سأسمح لها برؤيتك أنت وسام ، لكن عليكما أن تحافظا على المسافة .

إرتسمت على وجه سيمون إبتسامة باهته وهو بهز رأسه موافقا، كان جون قد وصل حيث سام وأميجو يجلسان ، وهنا بدأت تتعالى التأوهات من شفتي سيمون مجددا، وهو يحاول أن يمد ذراعه ليتحسس الجرح أسفل ساقه، بينما ، الأمر الذي جعل جون قلقا يتوقف ويضع سيمون على مقعده برفق وهو يسأله في قلق:

-مالأمر يا ولدي ، هون عليك لا بد أنه الجرح بدأ بالإلتئام.

في هذه الأثناء كان أميجو قد توقف عن تدخين غليونه ، قبل أن ينهض من مقعده ويتجه نحو سيمون ، ثم ينحني نحوه ويزيل الضمادة عن جرحه في قلق وهو يقول:

-دعني أرى مالخطب !

إتسعت عيناه في هلع وهو يحدق في جرح سيمون المتورم الذي بدأ يخرج منه القيح ، لكنه حاول أن يتمالك أعصابه وهو يلتفت ليحدق في جون بنظرة عصبية بينما يفرك رأسه ،الأمر الذي دفع جون ليذدرد لعابه في هلع بينما يقول في صوت خفيض :

-مالأمر سيد أميجو !؟

إعتدل أميجو واقفا قبل أن يواجه جون وهو يقول في حزم :

- سيد جون ، أعتقد أن الجرح بحاجة لتطهير من جديد ، أحتاج لبعض النباتات إن الأمر ملح.

أما سام فلقد أفلت بعض الشرائط الملونة من يده بينما يسقط فكه السفلي في ذهول وأسى ، ثم لم يلبث أن غمغم وهو يقول في إنفعال :

-سيد أميجو ، إن لي حديقة صغيرة تمتلئ ببعض النباتات التي قد تساعدك في التطهير ، إنها هنا بالقرب تعال معي.

قالها وهو بجذب بنطاله بيده الصغيرة ، الأمر الذي جعل أميجو مرتبكا يسير بالقرب منه ، أما عن جون فلقد أطلق تنهيدة عصبية

وهـو يجلـس عـلى مقعـده المتاخـم لسـيمون ، قبـل أن يربـت عـلى كتفـه مشـجعا وهـو يقـول:

-لا تقلـق يـا ولـدي سـوف تتعـافى بـإذن اللـه ، فعندنـا الكثـير مـن النباتـات التـي تصلـح للمـداواة إن لم يفلـح اليـود في ذلـك ، كـما أن اللـه قـد أرسـل لنـا طبيبـا بارعـا ، وذائـع الصيـت .

ثـم نقـل بـصره إلى حيـث سـام و أميجـو وهـما يسـيران جنبـا إلى جنـب نحـو حديقـة سـام الخلفيـة قبـل أن يختفيـا عـن نظـر جـون ، وهنـا وبـدأ القلـق ينهـش قلبـه بسرعـة وأفـكار غريبـة تخنقـه ، أفـكار تتعلـق بسـام !

توقـف سـام وبجانبـه أميجـو أمـام حديقـة دائريـة تمتلـئ بالأعشـاب والنباتـات المختلفـة ، الكثـير مـن النباتـات الطبيـة والنـادرة ، ولم يسـتطع حينهـا أميجـو إلا أن يطلـق شـهقة إنبهـار ، وهنـا إرتسـمت على شـفتي سـام إبتسـامة رضـا وهـو يحـدق في وجـه أميجـو، للحظـات ظـل الأخـير ينقـل بـصره بـين النباتـات في ذهـول ، فلـم يكـن مـن السـهل عليـه أن يتقبـل فكـرة أن يمتلـك طفـلا في الخامسـة مـن عمـره كل هـذا الكـم مـن النباتـات ، بـل ويـدرك قيمتهـا الجماليـة ويتفـانى في رعايتهـا لحـد أنـه يعـرض حياتـه للخطـر ويعـبر جـسر شـبه منهـار ليحصـل عـلى بعضهـا كـما لـو كانـت كنـزا ثمينـا ، إنتزعتـه كلـمات سـام مـن ذهولـه حينـما قـال لـه في هـدوء:

-سـيدي هنـاك في الزاويـة يوجـد نبـات الجوجوبـا وطحالـب سـفاقنم ومسـك الـروم الـدرني

وقاطعه أميجو وهو يسأله بإهتمام :

-هـذا جيـد يـا سـام ، دعنـا نخلـط القليـل مـن الجوجوبـا مـع طحالـب سـفاقنم لكننـي كنـت بحاجـة إلى نبـات البلسـم. وهنـا أشـار سـام بحماسـة بيـده لبقعـة مـا لكـن وبمجـرد إقترابـه منهـا ، كانـت النباتـات هنـاك ذابلـة للغايـة ، الأمـر الـذي صدمـه وجعلـه ينكـس رأسـه في حـسره ، أمـا أميجـو فلقـد مـط شـفتيه في حنـق وهـو ينقـل بـصره بـين النباتـات ويتحـرك حولهـا

قبل أن يردف في عصبية :

- يا للأسف لا يوجد بديل لهذا النبات ، ربما يمكننا أن نجد بعضا منها بالقرب او نباتات شبيهه أو

لكن سام هز رأسه نفيا وهو يقول في يأس :

-لا أحد هنا يزرع هذه النباتات ، وكما ترى الكثير من الغابات إحترقت أو تمت إزالتها ، كما أن السيد خوسيه لديه مصنع كبير لصناعة الأثاث والكيماويات والأدوية ، والكثير من القرويين تركوا الزراعة ليعملو معه بإرادتهم ، أو رغما عنهم حين أجبرهم على ذلك بطريقته .

مط أميجو شفتيه في غضب قبل أن يغمغم :

-اللعنة على خوسيه وأمثاله ، إنهم يدمرون الطبيعة ويقتلوننا ببطء

ثم أخذ يحك ذقنه في عصبية قبل أن يردف:

-ياإلهي!! ومالعمل الآن نحن بحاجة لتلك النباتات، لدي الكثير منها لكنني أقطن في القرية الأخرى وكنت مصادفة بجانب النهر ، العودة إلى هناك تستلزم بضع ساعات ،وهذا الوقت كفيل يجعل جرح سيمون يذداد سوءا .

وهنا تناهت لمسامعهما تأوهات سيمون وبكاءه ، الأمر الذي جعل سام ينهار أرضا وهو يدفن رأسه بين يديه في ألم ، ثم يضرب الأرض بيده المشوهة ويغرس أصابعه بينما يبكي ، لحظات فحسب قبل أن تنبت حشائش صغيرة لنبتة البلسم ، حيث تغوص يد سام في التراب. وهنا رفع أميجو حاجبيه في دهشة وإرتسمت على وجهه علامات الذهول قبل أن يقول في إنفعال:

-ياإلهي ، كيف حدث ذلك إنه لأمر غير قابل للتصديق ، إنها معجزة حقيقية ، كيف فعلت ذلك يا صغيري. حدق فيه سام طويلا ثم أجاب بحيرة سام :

-لا أعرف حقا سيدي ، هي دائما تنبت بسرعة حينما أغرس يدي المصابة في بقعة ما من المزرعة ، النباتات تحب يدي .

قالها وأطلق ضحكات بريئة بينما يتقافز في سعادة ، ويرقص على قدم واحدة ،إبتهاجا بنمو النباتات التي قد تسهم في شفاء جرح سيمون بسرعة .

كان صخب الإحتفالات في تلك الليلة وأصوات الموسيقى تعج أطراف القرية ، لكن لم يشارك أحد من عائلة جون فيها، ولا حتى السيد أميجو الذي بقي يتابع حالة سيمون عن كثب ليتأكد من إلتئام الجرح وعدم تلوثه.

تراجع أميجو في مقعده الخشبي ، أمام طاولة خشبية صغيرة ،مزخرفة بزهور حمراء ، تقبع بجانب سرير سيمون ، قبل أن يتنهد ويرفع حاجبيه في ذهول وهو يسحق بعض النباتات في وعاء من الفخار ،ثم يفركها بيديه ويصنع منها قطعة صغيرة يغطي بها جرح سيمون برفق ، وبنفس المهارة قام يلفه بضمادات بيضاء ، قبل أن يقول بنبرة إنفعالية موجها حديثه لجون :

-إن ماقام به إبنك سام مدهش بكافة المقاييس ، ولا أدري هل أجد له تفسيرا علميا أم لا ، لكن لم يسبق لي أن شاهدت شيئا مثل هذا ، إنه يجذب بذور النباتات المدفونة بأعماق التربه بيده تلك ، كما لو كان يملك طاقة كونية أو كهرومغناطيسية هائلة ، لقد نبتت الحشائش ببضع ثواني ، إنه لحقا أمر مثير للإهتمام.

لكن جون إكتفى أن يهز رأسه موافقا قبل أن يقولفي صوت هامس:

-سيد أميجو ، إن هذا الأمر برمته سيئ ، لو عرف أحد من سكان هذه القرية بالأمر، سيتهمون إبني بالسحر ويقتلونه ، أنت لا تعرفهم مثلي ، إنهم لا يؤمنون بالخوارق .

قالها وأطلق تنهيده عصبية قبل أن يضم قبضتيه إلى جبينه ويطرق رأسه في أسى ويضيف:

-أشعر أن هذه الطاقة تجلب لنا المرض والسوء ، صحيح أنها زادت من محصولي الزراعي وأفادت كثيرا في تكثيف الغطاء العشبي والتنوع النباتي في منزلي ، لكنها جلبت لنا المرض .

حدق أميجو بذهول في وجه جون للحظات ، منتظرا أن يكمل ، ثم لم يلبث أن تناول غليونه وأشعله مجددا وهو يقول في إنفعال :

-ماذا تقصد سيد جون ؟

حاول جون المحافظة على نبرة صوته إلا انها رغما عنه جاءت متهدجة وهو يقول:

- منذ أن بدأ سام بإستخدام يده في الأرض والزراعة حتى مرضت أمه فجأة، ولم تفلح أي من تلك النباتات الطبية في علاجها ، حتى أن الأطباء لا يعرفون شيئا عن مرضها أو حتى علاجه ، كل ما نعرفه عنه أنه معد وخطير ، وينتقل بالملامسة ، كما أن لي بنتا ماتت منذ سنوات في حادث سير مؤسف ، تحديدا عندما إستخدم سام يده لأول مره ، لا أعتقد أن هذا الأمر مصادفة أليس كذلك! .

والآن هاهو سيمون مصاب بجروح ، بسبب جموح سام فيجمع تلك النباتات ، لقد تسبب سام في ذلك رغما عنه ، لم أعد أعرف ماذا أفعل بتاتا، إنه لأمر محير ومربك للغاية ، إلهي ساعدني أرجوك. قالها ودفن وجهه بين كفيه ، الأمر الذي جعل أميجو يربت على كتفه مواسيا قبل أن يضيف في شفقة:

-لا تقلق سيد جون سنجد حلا لهذه المعضلة ، كل شيئ له تفسير علمي ، لا شيئ مستحيل في هذا الكون .

قالها وهو ينفث دخان غليونه ويتابع سام بنظره من النافذة ، حيث يلاحق الفراشات ويطلق ضحكات طفولية قصيرة ، لكنه في قرارة أعماقه كان يشعر بالحيرة والذهول والإرباك لأول مره.

سيمون وداعا

وفي صبيحة اليوم التالي قرر أميجو أن سيغادر ليرما إلى قريته ، وخصوصا بعد أن طرأ تحسن كبير على قدم سيمون ، وودع جون ، سام وسيمون ، وعند بوابة الحقل إرتدى قبعته ولوح للسيد جون مجددا وهنا هتف جون بإنفعال:

-عد قريبا إلينا سيد أميجو ، أتمنى لك أن تصل إلى قريتك بأحسن حال .

لوح له أميجو قبل أن يبتسم في ود ، ثم ضم ياقتي معطفه إلى عنقه ، بينما الريح تحرك قبعته ، أومأ برأسه موافقا وهو يقول في حماسة :

-حسنا سأفعل ، فلنبقى على إتصال ، أتمنى لك ولعائلتك السلامة والأمان سيد جون ، وداعا مجددا .

قالها وتحرك بإتجاه الطريق العام ،واستقل عربة أجرة ورحل بعيدا بعد مضي يومان على رحيل أميجو ، عادت حالة سيمون الصحية للإنتكاس ، وبدأت تظهر عليه أعراض غريبة كالحمى والرجفة ،حضر الكثير من الأطباء لرؤية سيمون لكن لم يستطع أحد مداواته أو حتى فك طلامس مرضه ،وفي المساء بينما جون يحاول إيقاظ إبنه سيمون ، ليحصل على جرعة دوائه ، وجد جون إبنه سيمون قد فارق الحياة ، كان وجه هذا الأخير مائلا للزرقة ومتورما وعينيه جاحظتين ، وانفرط قلب جون ، سقط يبكي جاثيا على ركبتيه بجانب إبنه ، بقي جون يبكي وهو ينتحب ، ثم إستجمع كل ما أوتي من قوة ليقف على قدميه مجددا وهو يحمل جثة سيمون ، بينما تتدلى يدي هذا الأخير ، وبخطوات متثاقلة تحرك جون إلى باب الكوخ وخرج ، كان سام

يجلس هناك فوق إحدى الصخوربينما يقبض بيده اليسرى على غصن يابس ويرسم على الرمل الناعم قبل ان يفلت الغصن ويقف مذهولا محدقا في وجه والده الشاحب وعيناه المحمرتان وهو يحمل سيمون بين ذراعيه ، للحظات تجمد الدم في عروق سام وإختنقت صرخته في صدره قبل أن ينفجر باكيا وهو يتراجع للوراء في هيستيريا بينما يصرخ في أسى:

-لا يا أبتي لم يمت سيمون، لا تقل لي أن سيمون قد مات ، أنا لم أقتل سيمون، النهر فعل ذلك.

ولكن جون كما لو أنه لم يسمع سام ، أو أنه لم يرد لأحد أن يعرف بمسألة موت سيمون ، لذا سار بخطوات مترنحة نحو بقعة ما بجانب الإسطبل ، دلف هناك لثانيتين ، في هذه الأثناء استجمع سام شجاعته واقترب من جثة أخيه سيمون وهو يعض شفتيه أسفا قبل أن يجثو بجانبها ، ويمد ذراعيه ليحيط وجه سيمون براحتيه ، وهو يقول في خفوت وفي صوت متحشرج :

-سيمون أنا آسف ، آسف يا سيمون ، آسف لأنني لم استمع لنصحك

وهنا عاد جون حاملا نعشا خشبيا أحمر اللون ، تتوسطه نقوش غريبة ، وبرفق حمل جثة سيمون من بين يدي سام وهو يحدق في وجه الأخير بنظرات خاوية ،ووضع جثة سيمون بداخله ، وتناول معوله المرتكز على جدار الكوخ وبدأ بالحفر ، و حينما أنهى عمل حفرة عميقة ، أخذ النعش وأنزله في الحفرة ، بدأ يهيل عليه التراب بينما يستمع إلى أنين سام خلفه . وكأن ماريا شعرت بموت إبنها وخصوصا بعد إختفاءه عن أنظارها ، وبسبب حالة جون المزرية حيث بدى شعثا كئيبا ، كما أنه كان يتهرب عن الحديث عن سيمون أمامها ، ومما زاد الأمر سوءا أن والدته ماريا لم تنفك عن طلب رؤية سيمون ،

أسـهم ذلـك في جعـل سـام غارقـا في وعكـة الضمـير ، كـما أنـه أصبـح يشـعر بالإهـمال وخصوصـا مـن والـده الـذي لم يكـن يتبـادل الحديـث معـه نهائيـا ، إلا حينـما يحـين وقـت تنـاول الطعـام ، كان يكتفـي بـأن يدعـوه لتناولـه ، بـدى كـما لـو أنـه يحملـه ذنـب مـوت سـيمون ، وبعـد مـضي عـدة أشـهرعلى رحيـل سـيمون ، إشـتد المـرض عـلى ماريـا ، أو أنهـا بعدمـا علمـت برحيـل إبنهـا ضعفـت رغبتهـا بالحيـاة ، وفي مسـاء الخامـس والعشريـن مـن ديسـمبر ، رحلـت ماريـا ، ولقـد كان موتهـا بمثابـة المطرقـة التـي هشـمت زجـاج قلبـي سـام وجـون للأبـد ، إذ أصبـح جـون بعدهـا عصبيـا و تغـيرت معاملتـه لسـام ، تراوحـت مابـين الإهـمال و القسـوة ، كـما أن جـون أصبـح لا يكـف عـن شرب الجعـة ،ولم يكـن يتحـدث مـع سـام برفـق بتاتـا ، بـل كان يعنفـه، ويضربـه بقسـوة إذا صـدر منـه أمـر يزعجـه حتـى لـو كان بسـيطا، وبسـبب شـعور جـون بإنـه عاجـز عـن رعايـة سـام وعاجـز عـن التحكـم في إنفعالاتـه ، وبعـد أن بـدأ خوسـيه بمطالبـة جـون بسـداد المـال الـذي إقترضـه منـه لعـلاج ماريـا ، وخاصـة بعـد ذبـول النباتـات والمحاصيـل بسـبب إهمالهـا مـن قبـل جـون وبسـبب أن سـام لم يعـد يقـترب مـن المزرعـة أبـدا ، أو يلمـس أي مـن النباتـات هنـاك ، حتـى مزرعتـه الصغـيرة ذبلـت بالكامـل، بسـبب جفـاء والـده لـه. بـدأت الكوابيـس تلاحـق سـام في منامـه وبـدأ يشـعر بالحـزن والإكتئـاب وقـرر أن سـيغادر المنـزل بحثـا عـن السـيد أميجـو، الـذي كان يعتـبره سـام ، مـلاذه الأخـير خصوصـا في قريـة يضطهـده كل مـن فيهـا ويلحـق بـه الأذى حتـى والـده ، و في يـوم مـا بينـما سـام يختبـئ خلـف السـور ويراقـب والـده الـذي كان يرتشـف جعتـه بنهـم، قبـل أن يضعهـا عـلى الطاولـة ، ويفـرك رأسـه بعصبيـة ثـم يـضرب الـكأس ، ليسـقط أرضـا ويتحطـم ، وهنـا تذكـر سـام مـا قالـه والـده عنـه لأمـه ماريـا ذات مـرة قبـل أن يصيبهـا المـرض .

كان سـام حينهـا يهـم بدخـول الكـوخ حاملـا أصيصـا مـن الزهـور البريـة

كي يهديه لوالدته ماريا، لكنه تراجع في ذعر ليقف مسندا ظهره لجدار الكوخ ، حينما تناهى إلى مسامعه شجار والده جون مع والدته ماريا، كان حينها جون يطرق الطاولة الخشبية التي تتوسط حجرة المعيشة بقبضته في غضب وهو يقول :

-إن سام إبني كما هو إبنك ، أنا لم أقل لك أنني سألحق به الأذى، قلت لك دعينا نرسله إلى مكان بعيد ، إن قوته تعيد للأرض خصوبتها بينما تسببلنا المرض ، كما لو لاحظ أحد من سكان هذه القرية قدرته، قد يتهموه بالسحر ، ويقتلوه ، إنهم لا يأمنون بالخوارق، دعينا نرسله لأحد أصدقائي بالمدينة ، لكن ماريا قاطعته في صرامة وعصبية بينما تلوح بذراعيها أمام وجهه وهي تقول :

-لا لن ترسله لأي مكان ، أرجوك إنهم قد يلحقون به الأذى ، ليس لسام علاقة بموت ساندرا ، إنها مصادفة وقاطعها هذه المرة جون وهو يتحرك بعصبية ناحية النافذة ، ليشيح بوجهه عنها بينما يقول في أسى وسخرية :

-مصادفة ! عن أي مصادفة تتحدثين يا ماريا ، منذ صبيحة اليوم الذي لاحظنا فيه أن لسام قوة خفية في يده المشوهة ، وأنها تجذب البذور الدفينة لنباتات نادرة وعجيبة من أعماق التربة وتنشط نموها لتظهر مرة أخرى على السطح، أصيبت ساندرا بمرض عجيب قبل أن تتعافى ثم تقضي نحبها في حادث سير ، حتى تلك النباتات لم تفلح في علاجها حينما مرضت ، كما أن الأطباء فشلو في تشخيصه ، لم أعد أدري حقا أي مصادفة تلك التي تتحدثين عنها .

إتسعت عينا سام وهو يستمع في ذعر وألم لما يقولانه عنه ، ورغما عنه أفلت الأصيص من يديه ليسقط ويتحطم أرضا بينما يبكي ، ثم ركض بعيدا عن الكوخ ومع سقوط الإصيص وتحطمه ، تنبه جون وماريا إلى مصدر الصوت ، فبتر جون حديثه وإلتفت يرمق ماريا

بنظرات عصبية ، قبل أن يتحرك بسرعة نحو باب الكوخ ويفتحه، كان الإصيص مكسورا على الأرض وهناك يركض سام مبتعدا عن المزرعة بينما يبكي ، وهنا إذدرد جون لعابه في صعوبه قبل أن يمط شفتيه في أسف ، ثم إلتفت إلى زوجته ماريا بينما يقول في عصبية :

-يبدو أن سام سمع ما دار بيننا من حديث حوله .

غطت ماريا شفتيها بأصابعها في أسى ، قبل أن تطرق رأسها في عصبية، ثم عقدت ذراعيها حول صدرها ، بينما تقول في عصبية وهي تفرك ذراعها الأيسر :

-ياإلهي ، سام المسكين لن يتفهم الأمر ، سيظننا نكرهه .

وتلاشت ذكريات سام من رأسه دفعة واحدة ، حينما لمح والده خلفه ،حاول سام الإختباء من والده خلف أحد تلال القش ، إلا أن والده كان قد لمحه ، فاقترب منه ببطء ، ثم وضع يده على كتفه ، قبل أن يقول في خفوت:

-سام ، إنه ليس خطأك ، إنه خطأي أنا من جردت كينلاريا من مزرعتها ، لقد كانت وحيدة وقسوت عليها ، وهائنذ أصبحت وحيدا مثلها .

رفع سام رأسه بينما يحدق في وجه أبيه الذي كان شاحبا وممتقعا نحيلا ، ولم يجرؤ أن يعيد خصلات شعر ابيه المتناثرة على جبينه بفوضويه ، كان يشعر بالخوف والوحدة ، ولم يفهم ما كان يقصده والده بكلماته عن السيدة كينلاريا ، لذا هز سام رأسه في دهشة قبل أن يقول لوالده في فضول :

-من هي السيدة كينلاريا يا أبتي ؟

أجابه جون وهو يطرق في أسى:

-سأخبرك يا بني أثناء رحلتنا نحو السيد أميجو ، ثم أشاح جون بوجهه بعيدا ، يحدق في سور المزرعة ، وبدأت الذكريات تنساب في

عقلـه مثـل الشـلال تجلـد روحـه وتمـضي بهـدوء.

تذكـر جـون حينـما وقفـت السـيدة العجـوز كينلاريـا ، تتوسـل إليـه أن يـترك لهـا حديقتهـا التـي خسرتهـا في رهـان إبنهـا ، وعـلى وجههـا علامـات الإعيـاء الشـديد وبصـوت يمـلأه العجـز والأسى :

-أرجـوك سـيد جـون إن مزرعتـي الصغـيرة هـذه هـي كل مـا أملـك ، أرجـوك إنهـا مصـدر قـوتي الوحيـد ، لا تحاسـبني عـلى نـزوات إبنـي مارلـو ، أنـا لا أعـرف أنـه قـد قـام برهـن مزرعتـي التـي كتبتهـا لـه ليرعاهـا بعدمـا كـبرت ، أرجـوك ليـس عـدلا أن تأخذهـا لمجـرد أنـه خـسر في رهانـه معـك عـلى بعـض الخيـول الجامحـة ، لقـد ورثتهـا عـن أجـدادي ، وترابهـا لا يقـدر بثمـن ، لقـد أنهكـت جسـدي في رعايتهـا أرجـوك ، كـن رحيـما بي ، وأتركهـا لي وأنـا أعـدك أننـي سـأعيد لـك المـال الـذي تريـده مـن مارلـو قريبـا .

لكـن جـون كان غاضبـا ولم يلـق بـالا لحـال السـيدة العجـوز وهـو يقـول في صرامـة ينـما يعقـد ذراعيـه أمـام صـدره :

-أيتهـا العجـوز أنـا آسـف ، لا أسـتطيع الإنتظـار ، إمـا أن تـأتي بالمـال الآن أو سـأخذ هـذه المزرعـة وكل مـا فيهـا .

إنتحبـت المـرأة ، وسـالت دموعهـا بغـزارة كالسـيل عـلى خديهـا، وجثـت عـلى ركبتيهـا أمـام جـون وهـي تتوسـل لـه ، وتحيـط ذراعيهـا بسـاق هـذا الأخـير ، كي يـترك لهـا المزرعـة ، لكـن جـون كان قاسـيا بمـا فيـه الكفايـة واكتفـى بزجـر السـيدة ، بـل وإبتعـد عنهـا وهـو يطلـق ألفاظـا بذيئـة ، حاولـت زوجتـه ماريـا أن تثنيـه عـن تصرفاتـه مـع السـيدة العجـوز ، وهـي تقـترب مـن وراءه ، ثـم تضـع راحتهـا اليمنـى عـلى كتفـه ، بينـما تقـول في رجـاء:

-أرجـوك جـون دع المـرأة تحصـل عـلى مزرعتهـا ، إن لنـا مـن الأرض دونمـين ، لسـنا بحاجـة لتلـك المزرعـة ، الرحمـة أثمـن مـن كل الأمـوال .إلا أن جـون أزاح راحتهـا عـن كتفـه في عصبيـة بينـما يقـول:

-صه يا إمرأة ، لا علاقة للرحمة بهذا الأمر لقد سبق وخسرت خيلي في رهان لي معه ولا بد من أن أستعيد كرامتي منه ، فلتذهب الرحمة للجحيم .

أما عن سيمون فلقد كان حينها في التاسعة من عمره ، ولقد بدى متأثرا بحال السيدة كثيرا ، لكن خوفه من غضب والده جعله يقف بجانب سور الحديقة خائفا، دون أن ينبس ببنت شفة ، بينما يضع يده على فمه في شفقة ، أما سام ، لصغر سنه لم يكن يدرك شيئا ، إذ كان حينها في الثانية من عمره ، يركض ويطلق ضحكات بريئة هنا وهناك ، إبتهاجا بالمزرعة الجديدة التي حصل عليها والده جون ، ثم فجأة وقعت عيناه على إسطبل فارغ ، كان يقبع في إحدى جوانب تلك المزرعة ، له واجهة حمراء معلق عليها أكياس كثيرة ، ولقد إستحوذت تلك الأكياس الملونة على إعجاب سام ، فذهب يتفحصها عن قرب ، كان الكثير من تلك الأكياس معلقا بالأعلى بحيث لا تستطيع يد سام الصغيرة بأن تصل إليها ، وأخرى معلقة باالأسفل، إستطاع سام أن يمسك بها ويجذبها ويجرها إلى حيث يقف والده والمرأة العجوز، وحينما يئستالمرأة من أن يعيد لها جون مزرعتها ، نهضت في وهن، ثم قالت وهي تشير إلى الأكياس التي يحملها سام في يديه ، بينما تمسح دموعها بطرف كفها في أسى :

-أرجوك سيد جون أريد أن أحتفظ بتلك البذور ، التي يمسك بها الصغير، إنها نادرة جدا ، إنها تعني لي الكثير .

كان غضب جون قد تصاعد حينها بسبب خسارته القديمة لخيله في رهان مع إبن تلك السيدة العجوز كينلاريا، لذا تناول الكيس من يد سام ونثره على الأرض أمام السيدة ، في هذه الأثناء شهق سيمون من تصرف والده الفج ، بينما إنحنى سام في عفوية وجمع بعض من هذه البذور ، ثم ناولها للمرأة ، فاتحا راحتيه لها ، نظرت المرأة في

يـد سـام المشـوهة نظـرة طويلـة ، ثـم تناولـت البـذور بإنكسـار مـن سـام وهـي تقـول بهمـس :

-شكرا يا ولدي شكرا ليباركك الرب.

تحركـت المـرأة بخطـوات مترنحـة، خـارج المزرعـة ، حيـث بقـي سـام يراقبهـا بنظـرات طفوليـة خاويـة ، قبـل أن يلـوح لهـا بعفويـة ، إبتعـدت المـرأة دون أن تلتفـت.

وفي رحلـة القطـار إلى قريـة موريليـا حيـث يقطـن أميجـو ، كان جـون قـد أسـند رأسـه إلى مقعـده في إرهـاق شـديد وهـو يحـدق مـن النافـذة، إلى الأشـجار العاريـة وزهـور الجماجـم والميملاريـا ، والنباتـات التـي تبـدو مـن خلـف الأغطيـة الشـفافة للمشـاتل الزراعيـة ، بينـما سـام يسـتند إلى حضـن والـده ، حيـث يجلـس في المقعـد المتاخـم لـه ، بينـما يغلـق عينيـه بـين الحـين والآخـر أو ينظـر مـن النافـذة في قلـق ، كان سـام خائفـا للغايـة مـن رحيلـه إلى قريـة أخـرى بعيـدة عـن موطنـه ، وخائـف أكـثر مـن أن يتركـه والـده هنـاك ويرحـل ، عـلى الرغـم مـن قسـوته الأخـيرة معـه و تحمسـه لرؤيـة السـيد أميجـو مجـددا ، لكـن وحدتـه التـي تقوقعـت داخلـه ، كانـت تـأبى أن يكـسر سـام هـذه العزلـة ، ورغـما عنـه إلتصـق أكـثر بحضـن والـده ، بينـما ينشـب أظافـره ليتشـبث بسـترته أكـثر ، الأمـر الـذي جعـل والـده يلتفـت إليـه بينـما يقـول في حنـان لأول مـرة منـذ زمـن ، وهـو يمسـح رأسـه بأناملـه :

-مالأمـر يـا سـام ؟ ، لا تقلـق يـا بنـي كل شـيئ سـيكون عـلى مايـرام ، السـيد أميجـو يحبـك كثـيرا وسـيعتني بـك جيـدا ، حالمـا أعـود مـن رحلتـي القصـيرة ، آخـذك ونرجـع إلى ليرمـا مـن جديـد ، أعـدك !

هـز سـام رأسـه موافقـا وهـو يحـدق في والـده في نفـس القلـق البالـغ ، و صـوت القطـار كان ينسـاب في أذنيـه بـين الحـين والآخـر ليعيـد إلى نفسـه القلـق والخـوف مـن المجهـول .

توقـف القطـار في المحطـة ، وهبـط كل مـن سـام وسـيمون في إرتبـاك ، قبـل أن يسـيرا جنبـا إلى جنـب ، كان سـام يشـعر بالـبرد و يفـرك يديـه بعضهـما ببعـض ، الأمـر الـذي جعـل والـده يسـأله في شـفقة:

-هل نسيت قفازاتك ذات رأس الأرنب يا سام ؟

وضـع سـام يديـه في جيبـه ، وفتـش قليـلا عنهـا ثـم لم يلبـث أن هـز رأسـه في حنـق موافقـا ، هنـا رفـع جـون حاجبيـه في حنـان قبـل أن يقـول:-لا يهـم يـا بنـي كدنـا نصـل .

قالهـا واسـتقلا العربـة نحـو منـزل السـيد أميجـو ، توقفـت العربـة أمـام منـزل ضخـم تحيطـه الأشـجار مـن الجهتـين ولـه حديقـة أماميـة واسـعة وجميلـة ، تعـج بهـا شـتى أنـواع الزهـور البريـة والأعشـاب الطبيـة ، وعـلى أعتابـه إسـتقبلهما السـيد أميجـو بترحـاب بالـغ ، وبينـما سـام يلهـو في حديقـة أميجـو ، طلـب منـه جـون أن يخلـو بـه ، وبعـد إن إبتعـدا قليـلا عـن سـام ، أخـبر جـون أميجـو بالقصـة كاملـة وطلـب منـه أن يعتنـي بإبنـه حتـى عودتـه مـن رحلتـه للبحـث عـن السـيدة كينلاريـا ، في محاولـة أخـيرة لإسـترضاءاها ، أمـلا في أن يعـم السـلام مجـددا لمـا تبقـى مـن عائلتـه، وافـق السـيد أميجـو عـلى الفـور ، وبعـد تقديـم وجبـة غـداء شـهية لجـون وسـام ، رافقهـما أميجـو إلى حجـرة فارهـة للمبيـت فيهـا حتـى الصبـاح ، وفي الصبـاح غـادر جـون منـزل أميجـو ، تـاركا سـامهناك عـلى أمـل بالعـودة معـه مجـددا إلى ليرمـا ، لكـن القـدر كان لهـما بالمرصـاد عـلى مـا يبـدو.

خسارة فادحة

في الآونة الأخيرة تغير جون كثيرا ، أصبح نحيلا شاحب الوجه ، غائر الخدين ، جراء خسارته الفادحة لأسرته ولمحصول الذرةالذي راهن عليه بكل مايملك ، وبخطى مترنحة بعدما ترك سام عند السيد أميجو ، سار بين أرجاء غابة ميتشواكان، بحثا عن منزل السيدة كينلاريا ،حيث تقطن هي على بعد ميل من هناك ، بعد رحيلها عن ليرما بسببه، كفرصة أخيرة لإسترضاءها ، حيث كان جون يشعر بتأنيب الضمير العارم لمعاملته القاسية لهذه العجوز ، وإستيلاءه على مزرعتها ، وخصوصا بعد موت زوجته ماريا بمرض نادر وموت إبنته ساندرا وإبنه سيمون في حوادث مشؤومة ، كما لو أنه قد أدرك حينها أن ما حدث له إنما لعنة، نتيجة لظلمه لتلك المرأة العجوز، أو أنه مجرد شعور بالذنب ، وهو يرغب في التخلص منه ، أو أن الأمر برمته لا يتعدى سوى أن يكون قدره الذي لم يخطط له، وبينما هو شارد الذهن يتحرك ببطء حاملا بندقيته خلف ظهره ، وضاما لياقتي معطفه الأسود، محاولا تثبيت قبعته فوق رأسه ، حيث تراقصها الرياح الباردة بخفة ، فجأة تناهى إلى مسامعه صوت يشبه الطنين يأتي من وراءه ، ومع إلتفاتته شاهد جون آلاف الفراشات البرتقالية والسوداء (فراشات الملك) والتي كانت تطير على إرتفاع منخفض فوق رأسه ، ثم تلتصق بعضها فوق بعض بالأشجار ، حتى تغطيها تماما ،بينما يكمل البعض الآخر طيرانه بحثا عن أشجار أخرى ، وهنا رفع يديه فوق رأسه ليغطي وجهه في ذعر للحظات، قبل أن يفيق من ذهوله لتسقط قبعته أرضا، إنحنى لإلتقاطها ، وإذا بفراشة سقطت عند قدميه من السرب المحلق، إنحنى جون ليتفحصها ، وجد أنها تنتفض بينما تحرك جناحيها بصعوبة ،

توقفت عن الحركة ، أدرك جون أن الفراشة قد فارقت الحياة ، فرفع أصابعه عنها ببطء في أسف وأغلق عينيه لثانية ، ولم يدر لم الموت مجددا يلاحقه ، أم أنه مجرد قدر سيئ كذلك الذي إقتلع أسرته .

إعتدل جون بعدها وهو يحدق بذهول في هذا السرب الجميل من الفراشات حوله ، تذكر إبنه سام ورغما عنه تنهد في مرارة وهو يدور حول عقبيه ، محدقا في أطراف الأشجار الشاهقة هذه المرة ، الأشجار التي كانت تصافح السماء بهدوء ، كما لو أنه يغبطها على سكينتها وتخبطه، حاول جون مجددا السيطرة على مشاعره وهو يتحرك بخطوات حثيثة بين الشجيرات الصغيرة والحشائش ، حتى لاح له من بعيد كوخ السيدة كينلاريا وهنا توقف وهو يرمق الكوخ بعصبية قبل أن يذدرد لعابه ويتقدم نحو الكوخ ، وبخطى واسعة قطع جون بضع الياردات التي تفصله عن الكوخ ، وتقدم من عتبته وقرع الباب مرتين ببطء ، لكن لم يجبه أحد ، أعاد قرع الباب مجددا، ولدهشته لم يجبه أحد مجددا ، وهنا إلتفت جون حوله في قلق ، وتنبه فجأة إلى حقيقة أن الكوخ مهجور، والحديقة جافة ، ما من نباتات أو أي دليل على وجود حياة هناك ، فرك رأسه في عصبية ثم أطرق يفكر ، هل رحلت السيدة كينلاريا ، أم ماذا ؟ ، وفي تلك الأثناء مر بجانبه رجل حليق الذقن وقصير ، ألقى التحية على جون وقبل أن يغادر إستوقفه جون ، قبل أن يسأله في قلق عن السيدة كينلاريا ، وهنا رفع الرجل حاجبيه في دهشة قبل أن يقول في هدوء :

- سيدي هل أنت غريب عن هذه القرية؟ ، ألا تعرف أن السيدة كينلاريا ماتت منذ عام مضى، إذا كنت صديقها متأسف لخسارتك .

قالها وربت على كتف جون مرتين قبل أن يهز رأسه في أسف ، ثم غادر بخطى سريعة ، تاركا جون خلفه متسمرا من هول الصدمة.

غادر جون بخطوات جنائزية محيط كوخ السيدة كينلاريا ، وحينما

وصـل إلى الغابـة مجـددا ، كان اليـأس قـد بلـغ منـه مبلغـه ، وسـيطرت عليـه فكـره واحـدة، أنـه هـو المتسـبب الوحيـد ، في كل الدمـار الـذي لحـق بعائلتـه ، وبإحبـاط شـديد فـرك جـون يديـه المحمرتـين بينـما يتقـدم إلى إحـدى الأشـجار في تلـك الغابـة ، إنحنـى وأسـند رأسـه ، أخـرج زجاجـة الجعـة مـن جيـب سـترته ، حـدق بهـا بأسـف وهـو يقربهـا مـن شـفتيه ، ثـم قذفهـا جانبـا لينسـكب مـا فيهـا أرضـا، فـلا شـيئ قـد ينسـيه مـا فقـده.

عـاد يسـند رأسـه مـن جديـد للحـاء الشـجرة ، بينـما يعقـد سـاعديه أمـام صـدره و يفكـر قليـلا ، وأمـام عينيـه تراصـت ذكرياتـه ، ليجـد أنـه يحـدث نفسـه بصـوت مسـموع :

-لا أدري لمـاذا يحـدث كل هـذا لي ، هـل حقـا أنـا مجـرم ، هـل كان عـلي تـرك مزرعـة كينلاريـا لها ، والخسـارة أمـام إبنها مارلو مجددا؟، أم أن السـيدة كينلاريـا لا علاقـة لهـا بـكل شـيئ و قـوة سـام هـي التـي كـما أخرجـت مـن الأرض إخضرارهـا ، أخرجـت أرواحـا شريـرة قـد جلبـت لنـا كل هـذا الدمـار ، هـل كان عـلي أن أقتـل إبنـي أم أن أبـتر يـده!، اللعنة لمـاذا؟؟؟

ماريا ، ساندرا ، سيمون.

قالهـا وبـدأ بالإنتحـاب للحظـات بينـما يدفـن وجهـه بـين كفيـه، ثـم بكفـين مرتعشـتين إنتـزع بندقيتـه وألصقهـا في ذقنـه ، إذدرد لعابـه مرتـين ، ضغـط الزنـاد ، وإتسـعت عينـاه في محجريهـما قبـل أن يسـقط عـلى جنبـه، جثـة هامـدة .

تعلم أن لا تتألم

كان السيد أميجو طيبا للغاية ، يعامل سام بمنتهى اللطف ،معجبا بذكاءه وقدراته كثيرا ، ولقد كان يشعر معه سام بالأمان ، وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة ، جلس سام على أريكة وثيرة بجانب السيد أميجو يستمع إلى طفولة هذا الأخير وشغفه بالنباتات بإهتمام قبل أن يبتر حديثة فجأة ويقول في إنفعال بينما يمد ذراعه اليمنى على حافة الأريكة خلف سام :

- هل تعرف يا سام إنك تشبهني كثيرا في أمور كثيرة، ولا سيما في قدراتك الخاصة .

حدق فيه سام بدهشة وهو يقول :

-كيف ذلك سيد أميجو ، لم أفهم ؟

أجابه السيد أميجو في هدوء :

-هل تذكر يوم أنقذتك أنت وسيمون حينما سقطتما في النهر ، لم يكن الأمر محض صدفة بحته ، بل شعرت بأن ثمة شخص يغرق ، أنا أملك قدرة خاصة ساهمت في معرفتي بالأمراض وإيجاد العلاجات المناسبة لها ، وجعلت مني طبيبا ذا صيت، لقد ولدت بنشاط مفرط لخلاياي المسماة العصبونات المرآتية وهي موجودة بالدماغ ، كما ساهم في ذلك إنخفاض في نشاط الأجزاء الأمامية للدماغي، الأجزاء التي تساعد على التفرقة بين ذواتنا والآخرين ، وهي حالة شديدة الندرة تحدث لواحد إلى إثنان بالمائة من الناس ، ووظيفة تلك العصبونات أنها تنفعل حينما يقوم الشخص بفعل ما أو يشاهد شخص يقوم بهذا الفعل ، وهذا الأمر يجعلني أشعر بالآخرين ، بجميع مشاعرهم السلبية والإيجابية ، بل وآلامهم بمنتهى الدقة ولكن بشكل أخف من

شعورهم هم بالأمر .

حينما أنهى أميجو حديثه كان سام يحدق فيه وعلى وجهه علامات الدهشة ،وهنا ربت أميجو على كتفه في لطف بينما يقول :

-أعلم أنه ليس سهلا عليك إدراك الأمر ، مازلت صغيرا يا بني ، لكنني أردت أن أخبرك ، أن لكل منا شيئ يميزه عن الآخرين ، القدرات الخاصة التي لديك حتى وإن كرهتها أو كانت تشعرك أنك نشاذ ، هي في النهاية نهر متدفق من روحك إلى الآخرين ، لقد خلقنا لأجل الآخرين يابني ، حتى وإن لم تمنحنا الحياة السعادة التي أردناها ، نحصلعليها حينما نقدمها للآخرين وخاصة الضعفاء ، هل فهمت يا سام ؟

هز سام رأسه موافقا وهو يحدق في عيني أميجو قبل أن يشرد ببصره نحو النافذة التي بجانبه ، بينما نهض أميجو وتوجه إلى المدفأة، ثم تناول بعض الأخشاب الموضوعة في صندوق من الجرانيت الأسود، ألقى بها في المدفأة الواحدة تلو الأخرى ، إتقدت النار أكثر وبدأ الدفئ يتسلل إلى المكان ، ليتحرك السيد أميجو بخطوات هادئة نحو أحد رفوف مكتبته الجميلة التي كانت رفوفها على شكل فراشات، فتش بين الكتب بحركات مدروسة قبل أن يتناول إحداها بينما يلتفت إلى سام وهو يقول في إهتمام :

- هل تحب القصص يا سام ؟

إنتزعت هذه الكلمات سام من شروده ليقول في إرتباك:

- سيد أميجو ، هل كنت تحادثني ، أنا آسف لم أسمع ما قلته للتو هل لك أن تعيده علي؟

إبتسم أميجو في حنان وهو يقترب من سام قبل أن يناوله كتابا بينما يعود إلى مقعده الأول بجانبه ، نظر إليه هذا الأخير في حيرة ، قبل أن يسأله في دهشة وهو يمرر كفه على نقوش الكتاب البارزة :

-ماهذا الكتاب ؟ يبدو لي جميلا ، لكن عما يتحدث سيد أميجو !

وهنا ربت أميجو على كتفه برفق قبل أن يقول في هدوء وهو يومئ بإصبعه نافيا :

- أرجوك نادني بإسمي فحسب ، لا داعي للفظ السيد ، أما بخصوص الكتاب فهو قصة عن شاب وسيم، ولد كفيفا لكنه إكتشف فيما بعد أنه يستطيع إستعادة عينيه ، إنها قصة مشوقة ، إقراها بتمهل وتأمل، أنا متأكد بأنها ستعجبك ، سأنشغل بتحضير بعض العقاقير لبعض الوقت .

قالها وغادر الحجرة بخفة ، تحسس سام الكتاب بأطراف أصابعه في إنفعال ، كان الكتاب أزرق اللون ، بنقوش حمراء غريبة على حوافه بينما يتوسطه عنوانه باللون الأبيض (أحجار القمر الزرقاء) فتح سام الكتاب وبدأ يقرأه بتمعن .

يحكى أنه في قرية جميلة في ريف المكسيك كان يعيش رجل يدعى كارل مارك ويلسون ،القروي البسيط والمحارب الصنديد ، كان كارل وسيما، قوي البنية، شجاعا مغامرا مثل والده مارك ويلسون البحار الذي قضى نحبه على يد وحش البحر الضخم أوفال أثناء مجابهته له في رحلة بحرية نادرة، حيث كان مارك أنذاك مصطحبا معه ابنه كارل، لكن لسوء الحظ فقد كارل بصره جزئيا في تلك لمجابهة ، ليبقى كارل ويلسون يعاني لفتره طويلة من العمى الجزئي ، ويشعر بالنقص ، لكنه لم يستسلم، حاول جاهدا أن يستعيد بصره بطرق مختلفة لكنه فشل.

ذات مرة إلتقى كارل بأمرأة عجوز بشعة للغاية، الجميع يبتعد عنها خوفا منها لكنها كانت بحاجة للمساعدة، عاونها كارل في حمل الأخشاب الثقيلة ، وهنا رفعت المرأة حاجبيها في دهشة وإنبهار ، بسبب قوة كارل الجسدية وشهامته قبل أن تقول :

-يالك من رجل قوي وشهم ، لقد عاونتني رغم ضعف بصرك، بينما هرب الآخرون لشكلي المخيف ، لذا قررت أن أكافئك بكتاب

خـارق عـن أحجـار زرقـاء قـد يحقـق لـك أمنياتـك .

قالتهـا وأخرجـت مـن بـين رداءهـا كتابـا أزرقـا براقـا وعجيبـا ، كتـب عـلى واجهتـه (أحجـار القمـر الزرقـاء) وناولتـه لـكارل ، تنـاول منهـا كارل الكتـاب بهـدوء، وأخـذ يقلبـه بـين راحتيـه في فضـول ، بينـما يقـول والإبتسـامة تتراقـص عـلى شـفتيه

كارل:

- شكرا لك ، لقد قمت بواجبي ، هذا لطف منك كبير يا سيدتي.

أخـبر كارل صديقتـه الممرضـة جـوان باوتـشي بشـأن الكتـاب طلبـت منـه أن يتخلـص منـه ولا يصـدق تلـك المـرأة ، لكـن كارل لم يكـن قـد حـزم أمـره بعد .

مضـت عـدة أيـام ، ومنـذ الليلـة الأولى لوجـود الكتـاب في بيتـه كان كارل يصـاب بالكوابيـس المخيفـة كل ليلـة ، وفي صبـاح أحـدى الأيـام التاليـة، جلـس كارل وحيـدا وقلقـا في غرفـة المعيشـة فـوق مقعـد وثـير، ينظـر إلى الخـارج عـبر النافـذة ، حيـث تتمايـل الحشـائش مـع نسـمات الهـواء ، قبـل أن يغمـض عينيـه وعـلى وجهـه، قـد إرتسـمت علامـات الإعيـاء والحـيرة ، حيـث انـه لم يكـن قـد إتخـذ قـراره بعـد ، بشـأن إتـلاف الكتـاب ، قبـل أن ينهـض وهـو يقطـع حجـرة المعيشـة بخطـوات حازمـة ذهابـا وإيابـا في إربـاك ، توقـف ورفـع رأسـه وينظـر للمـرآة ذات الإطـار الأبيـض المزخـرف بنقـوش ذهبيـة لأسـماك واصـداف و المعلقـة في إحـدى الزوايـا نظـرة خاوية، وبخطـوات مترنحـة إتجـه إلى النافـذة الجانبيـة لغرفـة المعيشـة، ركـز رأسـه هنـاك حتـى إلتصـق نصـف وجهـه فيهـا وهـو يـدق عـلى زجاجهـا بعصبيـة، ثـم بفـراغ صـبر تحـرك نحـو الكتـاب الأزرق الـذي يقبـع عـلى الطاولـة البيضـاء الرخاميـة المزخرفـة ، وبحركـة عصبيـة تنـاول الكتـاب وحـاول تمزيقـه بـكل مـا أوتي مـن قـوة ، لكنـه فشـل كانـت أوراقـه سـميكة للغايـة ، قـرر ان سـيضرم فيـه النـار، وبخطـوات واسـعة وصـل إلى المطبـخ ،

وأشعل الموقد ووضع الكتاب هناك لكنه لم يشتعل وإنما أصبح هلاميا بفعل النار ثم عاد إلى شاكلته الأولى مع هروب العصافير الملونة التي كانت بالقرب من النافذة.إتسعت عينا كارل في ذهول وأخذ يفرك رأسه ووجهه بيديه في حركات عصبية، ليتوقف فجأة وبنظره خاطفة الى الحديقة من نافذة الكوخ ، قرر كارل أن يدفن الكتاب في الحديقة وبالفعل خرج بخوات واسعة إلىالحديقة ،حينما وصل إلى هناك سمع صوتا غريبا ،مثل شهقة مكتومة جعلته يلقي الكتاب أرضا ويدور حول عقبيه ، في حيرة شديدة باحثا عن مصدر الصوت، عاد إلى رباط جأشه وبعد أن خلع سترته بحركات سريعة ، بساعده القوي تناول معوله وبضربات مدروسة أنهى بالفعل عمل حفرة متوسطة ، تناول الكتاب وألقاه في الحفرة ، وإذا بيد صغيرة تجذب بنطاله من الخلف وصراخ مخيف ، جعله يلتف ليجد طفلا متسخ الشعر ، كشفت سترته الممزقة عن كتف مثخنة بالجراح ، كان الطفل ذو العشرة أعوام ينظر في الحفرة بغضب ثم يرفع رأسه إلى كارل ليجده بلا عينين ،بلا تعابير وبصوت مخيف يردد:

- لا تفعل ذلك أرجوك أريد ان أعود إلى البيت.

أرجوك لا تقتلها هي خائفة من الظلام، هذه الحفرة مظلمة للغاية وأشار بيده إلى حيث ألقى كارل الكتاب ليلتفت كارل فيجد بدلا من الكتاب طفلة مذبوحة وملقاة في الحفرة فزعا كارل يتراجع إلى الوراء في ذعر ودهشة ، ليجد أن الحديقة تحولت إلى غابة مظلمة تعج بأصوات حيوانات غريبة والطفلة ذاتها هناك ، بالقرب من إحدى هذه الأشجار تستنجد به ، ووحش بوجه مشوه و مخيف يصدر صوتا بشعا بينما يجذبها من شعرها ويسقطها أرضا ثم يحاول نهشها و إلتهامها جن جنون كارل وهو يقفز بخطوات واسعة ليجد نفسه يسقط في الحفرة بدلا من ذلك والأصوات تعلو والصراخ يعلو والكتاب ملطخ بدم

الطفلة وفي الأعلى الطفل بلا عينين الذي يهز رأسه في حزم هذه المره ويقول في صوت مخيف:

- لا تفعل ذلك كارل أرجوك لا تفعل ذلك ثم خيل لكارل أن شيئا ما ثقيلا يهوي فوق رأسه.

وبعدها أظلمت الدنيا أمام عينيه ، أو أن هذا ما حدث بالفعل ليسقط مغشيا عليه في حفرة دموية مخيفة ومظلمة وأصوات الوحوش تقترب وتقترب.

إستيقظ كارل من نومه منزعجا من هول الكابوس وقرر أن لن يتلف الكتاب ، بل سيعكف على تطبيق مافيه ، وبدأ يبحث عن الأحجار الملونة التي قرأ عنهاضاربا بتحذيرات صديقته عرض الحائط، إعتقادا منه أن هذه الأحجار لديها القوة في إعادة البصر للأشخاص المصابين بالعمى ، جمع هذه الأحجار من نهر بعيد عن القرية يدعى ريو، وفي إحدى الليالي التالية ، تحديدا بجانب الكوخ الخشبي الذي يقطن فيه كارل حيث جلس بجانب شجرة عملاقة بجسده النصف عار ، شبه متعرق ، مستندا إلى ركبتيه فوق الرمل الأبيض ، بدأ برسم هيكل القارب الذي قرأ عنه في كتاب أحجار القمر الزرقاء على التراب مستعينا بغصن شجرة مكسور تحت شجرة بلوط ضخمة بجانبه ، كان ضوء القمر ساطعا وحوله تتعالى أصوات الحشرات الليليه ، كان يشعر بالوحدة بدون صديقته جوان التي كانت غاضبه منه لأنه لم يستمع لنصحها ، لكنه كان مثابرا وشجاعا .

كان كارل بسبب عماه الجزئي يستدل على موقع الأحجار من رائحتها ، حجر التراب الفيروزي يشكل الجزء السفليمن القارب وحجر القمر الأزرق يشكل الجزء العلوي أو الأشرعة ، لكنه فجأة شعر بألم وحرقة على جلده ، شيئ يشبه لدغ الحشرات، بدأ بالحكاك ، قبل أن يلتفت في ذهول حوله متمتما في نفسه :

- يا إلهي ، الحشرات اللعينة من جديد.

وبعد عدة ساعات ،إنتهى كارل من رصف الأحجار ، لكنه كان متعبا للغاية ومع إذدياد تعرقه شعر بالنعاس، ليتوسد سترته الرمادية بينما يسند رأسه لذراعيه ويضجع على ظهره وغرق في النوم . بضع دقائق فحسب قبل أن تتوهج الأحجار بقوة ، لتصبح فراشات في سرب على شكل قارب ، تحلق حول جسد كارل النائم ، ثم تحط عليه في رقة وهدوء ، وتغوص تماما في جسد كارل الذي بدأ بالإحمرار بشكل غريب ومخيف للغايةإستيقظ كارل في الصباح على وخز خفيف في جسده ، وعلى أصوات أطفال حوله ليجد أن جسده أصبح متورما للغاية، لكن لدهشته العارمة لم يكن أحد ما حوله ، هز رأسه كارل معتقدا أنه مازال يحلم ، ثم إقترب من جدول الماء الذي بجانبه حيث كان يرقد، وتناول بعضا منه ليفرك به وجهه ، وفجأة تناهى إلى مسامعه صوت الأطفال مجددا واتسعت عيناه في ذهول وهو يحدق في أعين، تظهر من بين ضباب خفيف(بسبب ضعف نظره، العمى الجزئي) نمت على جسده ، على كتفه الأيمن زوج من أعين بنية ، وعلى كتفه الأيسر زوج من أعين بنية، وعلى بطنه زوجين من أعين سوداء ، وعلى ظهره زوج من أعين خضراء ،ليس هذا فحسب بل كان بمقدور كارل أن ينظر للخلف ، أن يرى دون أن يلتفت ، وكذلك جهة اليمين واليسار، بإختصار كانت تلك الأعين يستطيع أن يرى من خلالها ، ويستطيع أن يراها وهي تحدق به ، كما لو كان جسده مزخرف بأحجار براقة، وبذعر شديد ، وبحالة من الإرتباك بدأ كارل يرشق جسده ووجهه بالماء ،بينما يقول في ذعر :

- يا إلهي ! ماهذا الهراء، أجننت ! أم أنني أهذي .

وبمجرد إنتهاءه من عبارته ، بدأت الأعين بالحديث، وإنساب في أذنيه صوت طفولي :

- مرحبا كارل ، شكرا لك لإنك سمحت لنا بالظهور على جسدك ، إننا تائهون في الظلام ، هل لك أن تعيد لنا حقوقنا ، كي تعود لك عينيك كما تمنيت .

لم ينبس كارل ببنت شفة ،وإنما حدق بنظرات الذهول في جسده بينما يتحسس تلك الأعين ، الأمر الذي جعل الأعين تنطق في ألم:

- أنت، على رسلك ، إنك تؤذينا بلمساتك ، هذا مؤلم ، هل هذا نوع من الترحيب بأصدقاءك الجدد ، أم ماذا ؟

رغم هول الصدمة إلا أن كارل حاول جاهدا أن يسيطر على أعصابه وهو يقول في قلق:

-من أنتم ؟ ولماذا تلتصقون بجسدي هكذا ؟

خرج من العينين اللتين على كتف كارل الأيمن

صوت ذكوري وهو يقول في هدوء:

-إسمي دوني ، عمري تسعة أعوام ، كنت أقيم في ملجأ للأيتام في مدينة كانكون ، لكنني هربت من الملجأ إلى الغابات هناك ، جراء معاملتهم السيئة لي ،وهناك إحتجزني وعدة أطفال، رجل مجرم وشرير في قفص صغير ، إنه يريد إلحاق الأذى بنا ، أنا خائف للغاية ، أرجوك ساعدنا في الهرب من هناك.

رفع كارل حاجبيه في إنفعال قبل أن ينطلق من العينين اللتين على الكتف الأيسر، صوت ذكوري آخر وهو يقول في أسى:

-إسمي جاك وعمري إحدى عشر عاما ، توفي والدي ، لذا أقمت عند شقيق والدي ، لكنه يحملني فوق طاقتي ويجعلني أعمل في رفع الأشياء الثقيلة طوال النهار ، لذا هربت منه وتوجهت للغابة لكنني تهت هناك ، إختطفني ذاك الرجل الذي تحدث عنه جاك إسمه ميخائيل ،إنه يتاجر في الرقيق والخدم ومهووس بالدمى ، أنا خائف جدا ودوني كذلك ، الجميع خائف هناك ، إننا نسمع أصوات حيوانات

غريبة طوال الوقت ، أرجوك ساعدنا في الهرب من هناك، وبتر ماك عبارته حين قاطعه صوت أنثوي مرح ، كان يصدر من العينين اللتين على ظهر كارل وهي تقول:

- أنا ليلي أميرة جميلة ، شقراء فاتنة ، أقطن مع والدي الثريين ، سافرا منذ إسبوع وتركوني مع المربية تيرا ، شعرت بالملل فخرجت لألعب مع صديقاتي ، ولأني أحب الإستكشاف إبتعدت عنهن ،فضللت طريقي .

ثم تهدج صوتها في لهجة أقرب للبكاء وهي تقول:

- أنا أيضا أريد أن أعود إلى المنزل ، إشتقت لحجرتي وألعابي ، سيغضب مني والداي إن علما أنني خرجت دون إذنهما، سيوبخان تيرا المسكينة ،لا أريد أن أتسبب للجميع بالمتاعب كما إنني خائفة .

قالتها وأجهشت في البكاء ، الأمر الذي جعل كارل يرفع حاجبيه في حنان وهو يقول :

- لا بأس ليلي ، لا تقلقوا جميعا سوف أعاونكم في العودة إلى دياركم، سوف أبذل جهدي، وسوف ألقن ميخائيل ذاك درسا لن ينساه.

وهنا تصاعد صوت ذكوري بنبرة معترضة وخافته لا تخلو من الوهن ،كان ذلك الصوت من صدر سام وهو يقول:

- مهلا ، مهلا لقد نسيتني ، أنا توم ، أرجوك أشعر بالمرض أنا محتجز في كوخ مهجور ساعدني .

وتوالت الأعين في الحديث والتودد لكارل ، وبمرور ساعات فحسب، نشأت صداقة وطيدة بين كارل وأعين الأطفال ، وفي ذات صباح إستيقظ كارل ليجد أن مسوخ السيد ميخائيل أو دماه السيئة تحاصر الكوخ وتحاول النيل منه ، الأمر الذي دفعه للقفز من النافذة والركض بعيدا تجاه الغابة لإيجاد الكوخ الذي يقبع فيه الطفل المريض توم،و بعد صراع عقيم مع دمى أو مسوخ ميخائيل الشريرة ، إستطاع كارل الهرب

ونجت بعض الأعين بينما قضت أخرى مصرعها. إستمر كارل بالركض حافيا كآلة للركض، بسترته السوداء الممزقة التي تكشف عن عضلات مفتوله تعج بالخدوش وأثار كالكي او الغرز الطبيه ، كانت تلك الاثار على كتف كارل اليسرى ماهي إلا عيني جاك الذي قضى نحبه خلال صراع كارل مع المسوخ ، رغم أن كل ما مضى على وجود الأعين على جسد كارل مجرد ساعات فحسب ، إلا أن هيئة كارل كانت تبدو مزرية كثيرا ، لقد آثر كارل معاونة أولئك الأطفال على الخلود إلى الراحة، ليركض ببنطاله الأسود الرث وأقدامه الحافية فوق أعشاب يابسة وأشواك متناثرة بينما يسيل دمه على الارض، وتلتصق بعض الأعشاب بقدميه ثم تتطاير بفعل السرعة، لم يكن يشعر كارل بأدنى ألم في هذه اللحظات سوى ألم الخسارة وهو يركض نحو الكوخ الخشبي الذي يبعد عنه بضعة أميال ، بضعة اميال هي ما كانت تفصل كارل عن حلمه في إستعادة عينيه ، وإعادة الأطفال التائهين إلى ذويهم والقضاء على المسوخ وسيدهم ميخائيل.

على الرغم من ان صيحات المسوخ خلف كارل كانت تصم أذنيه، إلا أنه لم يكن ليسمع سوى صوت أنفاس توم المتلاحقة وأنينه ، توم الذي يرقد في فراشه يحتضر، لأنه طفل لقيط لم يجد أحدا يرعاه ، توم الذي يحمل عيني كارل على جبينه ، بينما يحمل كارل عيني توم فوق صدره، حيث يعاني هذا الأخير منذ اشهر من مرض غريب يفتك به، وكان على كارل أن يصل بسرعة إلى توم ويمنحه بعض الأعشاب النادرة، التي إستطاع أن يحصل عليها خلال رحلته، الأعشاب التي كانت تعج بها حقيبته الرماديه،الحقيبة التي كان يحملها على كتفه و المزخرفة بنقوش لأفاعي ملونه على الجانبين ، والتي قد تسهم في شفاء توم، لكن بكاء ليلي خلفه كان يشتت إنتباهه ، حيث تقبع عيناها في ظهره ، إذ كانت تبكي في هلع وتصرخ في كارل:

- المسوخ تقترب كارل أنا خائفة إنهم يحدقون بي، هاهو الوحش يضرب بمخلبه الهواء حولي ، الشدق من فمه يتطاير نحوي يا إلهي أنا خائفة جدا.

فبينما كارل يصرخ في صرامة دون أن يلتفت:

- أغلق عينيك ليلي ، لا تصدقي شيئا من ذلكجميعها كوابيس ، إن ميخائيل هو صانع الدمى الذي يحاول إخافتك وتنويمك مغناطيسيا فحسب ، ليحولكم إلى دمى سيئة مثل تلك المسوخ .

ويا للمفارقات إذ أن كارل كان يطلب من توم أن لا يغلق عينيه بتاتا وهو يصرخ في حزم دون ان يلتفت :

- كن شجاعا توم لا تغلق عينيك لا تستسلم هاأنذ قادم إليك ومعي الأعشاب التي قطفناها سويا لكن توم كان بكتفي ببعض السعال والتأوه.

الأمر الذي جعل كارل يردف في قلق وعاطفة:

- كل شيئ سيكون على مايرا وفجأة بتر عبارته في قوة، و توقف كارل ليجد أن بضع اليارات التي تفصله عن الكوخ مغطاة بالمسوخ بينما يتقدمهم ، الكائن البشع فيرالو ، خادم ميخائيل ، والذي يحمل مفاتيح الأقفاص التي يقبع فيها الأطفال (أصحاب الأعين على جسد كارل)، وفي زهو وقف فيرالو وهو يحدق في عيني كارل بظفر وشماتة ، بينما تحيطه المسوخ من كل جانب ، وهنا إنطلقت صرخة قوية ، صرخة واحدة شقت صداها أطراف الغابة وأيقظتها ، إلا أنها لم تكن من أفواه المسوخ بل من حنجرة كارل ، كارل المحارب الشجاع ، رجل العدالة والخير، وبدأت المعركة الاخيرة.....

المعركة الاخيرة

كانت الوحوش تنساب حول كارل من كل حدب وصوب لكنه لم يستسلم ، بل ركل أول تلك الوحوش في معدته، و إنحنى ليلكم الثاني والثالث في فكه ، وإستمر كارل في توجيه اللكمات والركلات إلى الوحوش، لكن الوحوش كانت تفوقه عددا وكان عليه أن يتصرف بحكمة ، وتذكر فجأة أنه يحمل بعض من أحجار القمر الزرقاء في جيب سترته ، فتراجع للوراء خطوتين ليوهم الوحوش بأنه استسلم ، وهنا تجمعت الوحوش المتفرقة في مكان واحد ، لبخرج كارل الأحجار بخفة من جيبة، ويضع بعضها أمام الشمس فتتحول لمرآة في يده ، بينما يلقي ببعضها أمام الوحوش ، وأشتعلت النار ،وبغضون عدة ثواني تآكلت كل تلك المسوخ وتلاشت تماما ، كما وجد كارل مفاتيح الأقفاص بجانب جثة فيرالوا الشرير ، وهنا تنفس كارل الصعداء ، وأطلقت أعين الأطفال على جسده ضحكات فرحة ، عدا عين توم ، الأمر الذي جعل كارل يلوح بيديه في عصبية وهو يقول :

- إنتظروا ! ، توم لقد وصلت إليك ، هائنذا أدلف إلى الكوخ .

قالها وهو يتحرك بخطوات واسعة نحو باب الكوخ ، لكن توم لم يجبه الأمر الذي جعل كارل يرتبك أكثر وهو يدلف إلى الكوخ بينما يذدرد لعابه ، صمتت أعين الأطفال أيضا بينما تتفحص المكان حولها في قلق ، لدهشة كارل كان الكوخ خاليا من أي شيئ سوى لوحة واحدة مثبتة بالسقف ، لوحة لطفل نائم وعلى زاوية اللوحة شريط أسود ، كما لو كانت اللوحة لطفل متوفى ، الأمر الذي جعل كارل يهز رأسه في عصبية بينما يقول :

- مستحيل ماهذا الهراء !

قالها وهو يدور حول عقبيه في قلة حيلة بينما يصرخ في لوعة :

- تووووووم ، أجبني يا توم أرجووووووك

صرخت الأعين أيضا تهتف تنادي توم بينما تنتحب بالبكاء ، لكن دون جدوى ، ساد صمت مطبق، إلا أن كارل تحرك نحو اللوحة ، وبأصابع مرتجفة تحسس اللوحة كما لو كان لا يصدق الأمر ، وما إن لامست أصابعه الشريط الأسود الموجود في زاويتها حتى ظهرت الحجرة أمام كارل من العدم ، وفوجئ بأن الشريط الأسود ما هو إلا مقبض الباب ، وبالفعل أدار كارل مقبض الباب ودلف إلى الحجرة ، ولدهشته كان الطفل الذي رآه في الصورة لتوه ، راقدا بلا حراك ، إنه يعرف هذا الطفل الآن إنه توم ، وهنا إنطلقت حشرجات الألم والبكاء من أعين الأطفال ، أما كارل فلقد كان له النصيب الأعظم من هذا الألم ، لقد فشل في إنقاذ طفل بريئ ، كما أنه خسر عينيه اللتين كانتا مغلقتين تماما على جبين توم ، بينما عيناه هذا الأخير نصف مفتوحة تحدق في السقف بقلة حيلة ، ويأله من مشهد ، وبصعوبة إذدرد كارل لعابه محاولا إبتلاع غصص المرارة التي إنتصبت في حلقه ، قبل أن يقترب أكثر من سرير توم ، وببطء مد كارل أصابعه يتحسس وجه توم ، أغلق عينيه وهو يجاهد تلك الدموع التي فرت من عينيه بغزارة ، بينما يقول في أسى وهو يجلس بجانب توم :

- أنا آسف يا توم ، سامحني لم استطع أن أقدم يد العون لك ، إرقد بسلام في السماء ، العدالة الإلهية ستقتص لك ، أحبك.

قالها ليسود الصمت من جديد ، نهض كارل مستعينا بطرف السرير ، فلقد كانت ساقيه غير قادرتين على حمله ، إبتعد هذا الأخير عن سرير توم ببطء ، أو أن اللوحة هي التي إبتعدت عنه ، دار كارل حول عقبيه مجددا ، يبحث في ذهول عن مخرج ، تقدم من إحدى الجدران، تحسسها بيده ولدهشته غاصت يده في الجدار، ليجد أن الجدار تحول

إلى مـاء نهـر صـاف ، وعـلى صفحـة النهـر كان كارل يـرى وجهـه هنـاك ، إتسـعت عينـا كارل عـن آخرهـما حينـما تناهـى إلى مسـامعه صـوت تـوم ، واقفا خلفـه وهـو يقـول في هـدوء :

- لا تبـك يـا كارل أنـا مازلـت حيـا في قلبـك ، جفـف عينيـك الآن مـن غبـش الدمـوع ، لـتراني بوضـوح ،مـازال الطريـق طويـلا يـا كارل .

وهنـا هـز كارل رأسـه موافقـا بينـما غاصـت يـداه في النهـر مجـددا قبـل أن يمسـح وجهـه بمـاءه، وخلفـه إبتسـم تـوم قبـل أن يضـع يـده عـلى كتـف كارل بينـما يقـول في عاطفـة :

-لم تفقـد عينيـك يـا كارل ، أنـت تـرى الأشـياء بقلبـك ، الذيـن يـرون بقلوبهـم يصلـون ، لقـد قمـت بأشـياء عظيمـة لأشـخاص لا تعرفهـم ، كانـوا بحاجـة إليـك، رغـم قدرتهـم وعجـزك لقـد نجحـت يـا كارل ، السـعادة هـي ماتقـوم بـه لأجـل الآخريـن ، ثمـة أشـخاص تسـتطيع أن تـرى نفسـك مـن خلالهـم بوضـوح ، هنيئـا لـك يـا كارل ، قلبـك هـو سريـري، سـأنام هنـاك للأبـد ، أحبـك.

قالهـا وبمجـرد أن مـد كارل ذراعـه نحـوه، تـلاشى مـن خلفـه، كـما لـو كان ضبابـا ،تلاشـت الحجـرة أيضـا ، ليجـد كارل أنـه أصبـح خـارج الكـوخ ،

لكـن في بقعـة مـا جديـدة تملأهـا الزهـور والعصافـير في شـتى أرجاءهـا، أطلقـت الأعـين ضحـكات بريئـة إبتهاجـا بالمـكان ، حـاول كارل أن يبتسـم كذلـك وهـو يحـدق فيـما حولـه .

بخطـوات واسـعة حـاول كارل أن يسـتعيد ربـاط جأشـه ، قبـل أن يكمـل سـيره عـبر الطريـق الممهـد بـين هـذه الحقـول متجهـا إلى منـزل ليـلي ليعيدهـا لوالدهـا .

ومـا إن وصـل كارل منـزل ليـلي ، حتـى إختفـت ليـلي مـن الصنـدوق الخشـبي الـذي كان يسـجنها فيـه صانـع الدمـى المهـووس ووجـدت أنهـا بجانـب كارل الـذي إبتسـم وهـو يصافحهـا بحـرارة بينـما هـي تتقافـز فرحة

قبـل أن تلتصـق بكتـف كارل ، عـادت ليـلي إلى عائلتهـا فرحـة كـما تـولى كارل إعـادة جميـع الأطفـال إلى ذويهـم ، الذيـن تعهـدو بعـدم الإسـاءة مجـددا لهـم ، وبعـد رحلـة شـاقة عـاد كارل إلى منزلـه وحيـدا ورغـم شـعوره بالوحـدة والخيبـة جـراء خسـارته الأمـل الأخـير في إسـتعادة عينيـه ، إلا أنـه كان يشـعر بالسـلام الداخـلي لمـا قـام بـه لأجـل الآخريـن ، أدرك كارل أن لـه عينـين في قلبـه ، وكان هـذا يكفيـه حقـا .

بعـد أن إنتهـى سـام مـن قـراءة الروايـة ، أغلـق الكتـاب ورفـع رأسـه للسـماء ، أدرك سـام أنـه محظـوظ رغـم عاهتـه، وأن ثمـة أشـخاص هم أسـوء منـه ، فهـو عـلى الأقـل يملـك قـوة خاصـة رغـم تشـوه يـده ، قـوة يجـب أن تـصرف في سـبيل إسـعاد الآخريـين وتحقيـق العدالـة، كي يحظـى بسـلام داخـلي يشـبه ذاك الـذي غمـر كارل في نهايـة القصـة، وهنـا دق عـلى بـاب حجرتـه، السـيد أميجـو قبـل أن يدلـف وعـلى وجهـه إبتسـامة خفيفـة ، وبـين يديـه كـوب مـن الحليـب الدافـئ ناولـه لسـام وهـو يسـأله في إهتمام:

-هل إنتهيت من قرآءة القصة يا سام ؟

هز سام رأسه موافقا وهو يقول في هدوء :

- نعم ولقد أعجبتني كثيرا سيد أميجو ، أشكرك .

عودة إلى ليرما

مضت السنوات بسرعة وكبر سام ليصبح بارعا في المداوة ، بعد وفاة السيد أميجو ، ورث شقيقه هذا الأخير منزل أميجو ، لذا قرر سام أن سيعود إلى ليرما إلى مسقط رأسه وإلى قريته ، إلى كوخ عائلته ولمزرعته الخلفية التي هجرها مرغما بسبب والده جون ، قرر أن سيعود ليعاون الضعفاء هناك على إيجاد البذور الجيدة ، وللعمل أيضا في المداواة بالأعشاب ، الفن الذي أصبح فيه حاذقا للغاية.

كانت نبتة سيموندسيا التي زرعها سام قد كبرت كثيرا ، وهي شجرة عجيبة في إرتفاع مترين لها ذراعين خشبيين (جذعين) ، وذراعين رخويين ، تعج بها أوراق اشجار مصفرة لمحمرة ، ولها عينان خضراوتان، وأشواك تشبة أشواك الصبار ، وهي خفية غائرة لا تظهر سوى في حالة الغضب ، ومع الوقت توطدت العلاقة بين سيموندسيا وسام وخصوصا لأن ذاك الأخير هو صاحب الفضل في ظهور سيموندسيا من أعماق التربة ، حيث سيموندسيا يعتبر إحدى البذور النادرة التي تركتها السيدة كينلاريا مرغمة بعد إستيلاء والده جون على مزرعتها ، جراء خسارة إبنها مارلو في رهان للخيل .

كما توطدت العلاقة بين سكان قرية ليرما وسام الذي لم يكن يتوانى عن تقديم خدماته في المداواة مجانا لأهل قريته ، لكن ذلك لم يكن يعجب السيد خوسيه ، الذي كان ينتهز ضعف وحاجة هولاء القرويين للإستيلاء على أراضيهم والتغرير بهم ، وإثقالهم بالديون كي بتخلوا عن أراضيهم بأبخس الأثمان.

تضحية صديق

وفي ذات مـرة قـرر سـام أنـه سـيذهب لمـداواة طفـل بحاجـه إليـه في قريـة كانكـون ، وكان عـلى سـام أن يعـبر جـسر آريـل مجـددا، الجـسر الـذي كان يتحـاشى فيـما سـبق العبـور منـه ، لا خوفـا منـه بـل خوفـا مـن زئـير الذكريـات المؤسـفة في عقلـه خلفـه ، تلـك التـي إرتبطـت بـذاك الجـسر، فهنـاك سـقط سـيمون وكاد أن يغـرق لـولا تدخـل أميجـو مصادفـة ، السـقوط الـذي تسـبب في تسـمم جـرح سـيمون وموتـه .

حينـما وصـل سـام لـذاك الجـسر ، إسـتعادت مخيلتـه ذكرياتـه مـع سـيمون في طفولتهـما تذكـر كيـف تسـبب عنـاده في سـقوط سـيمون مـن فـوق الجـسر وموتـه متأثـرا بجراحـه ، لم يسـتطع أن يحبـس تلـك الدمعـة الحـارة التـي شـقت طريقهـا لتسـقط عـلى ذراعـه المضمـوم إلى صـدره ،إنتزعـه مـن حزنـه صـوت سيموندسـيا بينـما يحيـط كتـف سـام بذراعيـه ويقـول في عاطفـة:

- هـون عليـك يـا سـام ، لقـد كان موتـه حادثـة ، ولا أدري حقـا لمـاذا لم تسـتجب جراحـه للعـلاج بالنباتـات ، إنهـا فعالـة ، لا أدري حقـا كيـف تسـمم جرحـه ، إنـه أمـر محـير.

إلتفـت إليـه سيموندسـيا وتبـادلا نظـرات أسـف طويلـة للحظـات ، تحـرك سـام نحـو الجـسر وقبـل أن يخطـو خطـوة واحـدة فوجـئ بسيموندسـيا يسـبقه للجـسر وينحنـي ، ثـم بـدأ سيموندسـيا يغطـي الجسر، حتـى أصبحـت العتبـات جميعهـا مغطـاة بأوراقـه ، وكذلـك حافـة الجـسر، ووصـل لنهايـة الجـسر بينـما سـام فاغـرا فـاه يحـدق بالمشـهد ، وبمجـرد وصـول سيموندسـيا للضفـة الأخـرى ، بـدأت زهـور الميملاريـا ، ونبـات بنـت القنصـل ذات الأزهـار الحمـراء ، صبـار عمامـة القـاضي بزهورهـا الصفـراء ،

البلسم ، مسك الروم الدرني والنرجس الرقيق ، جميعها بأشكالها الخلابة وعطرها الآسر ، بدأت تلتف على أطراف الجسر وحوافه ، صانعة لوحة مبهرة للغاية ، بينما سام يحدق فيها بإنبهار للحظات قبل أن يقول وعيناه مملوؤة بالدموع :

- ياإلهي ! يالها من مفآجأة مذهلة ، شكرا لكم أصدقائي .

إبتسم سيمودنسيا وبرقت عيناه في حب بينما ينهض ويقص أوراقه بيديه، كان سيموندسيا يتألم من داخله، لكنه فضل أن يحتمل الألم لأجل إسعاد صديقه ، وكمحاوله منه لإستبدال الصورة المأساوية للجسر ، العالقة بذهن سام بأخرى أكثر تفاؤلا ، ولقد نجح في ذلك ، إذ إرتسمت إبتسامة فرح خفيفة على محيا سام وهو يضع يده على قلبه بينما يقول في ود :

-شكرا لك سيموندسيا وسائر النباتات ، لقد كان هذا لطفا بالغا .

عبر سام الجسر بخطوات هادئة بينما تتمايل الزهور الملتفة على حافة الجسر ، توقف سام فجأة وأخذ يحدق بالنهر قليلا في توتر ، كان قد تذكر سيمون ، لاحظ سيموندسيا ذلك حيث كان يقف في آخر الجسر ، فمد جذعه المكسو بالأوراق وهو يقول في شفقة وإنفعال :

- هيا بنا يا سام مازال الطريق طويلا لنصل إلى قرية كانكون ، حيث يقطن الفتى جاك ، من المؤكد أنه ينتظرك بفارغ الصبر ، كما أنك حين تنقذ روحا بريئة ، سيسعد ذلك سيمون حتما في مرقده أليس كذلك.

هز سام رأسه موافقا ، وتحرك بخطوات أسرع نحو نهاية الجسر، وتأبط ذراع سيموندسيا التي تغطيها الأوراق ، إبتسم ذاك الأخير وهو يفرك رأس سام بيديه لتتساقط فتات الأوراق هناك ، وتلتصق مع فراشة صغيرة حمراء على جبينه ، الأمر الذي جعل سام يرفع عينيه وهو يبتسم بينما يهز كتفيه في قلة حيلة ، ضحكت الزهور بينما تتمايل ،

أكمل سيموندسيا سيره وسام جنبا إلى جنب ، بينما النباتات والزهور تحدق بهما وهما يبتعدان.

أثناء سيره مع سيموندسيا عبر الأراضي المترامية، لاحظ سام طائرا ضخما يجثم فوق جذع شجرة مقطوع ويبدو متصلبا كما لو كان تمثالا من الرخام ، الأمر الذي جعله يلتفت إلى سيموندسيا بينما يشير إلى ذاك الجذع، حيث يجثم الطائر الضخم وهو يقول في دهشة :

-ما هذا الطائر الضخم يا صديقي ، لم أره من قبل؟

أجابه سيموندسيا بينما يحدق إلى البقعة التي أشار إليها سام:

- إنه طائر البوتو ، طائر عجيب له عينان جاحظتان ، يجثم في النهار على الأشجار المقطوعة، ينشط في الليل ليصيد الحشرات والخفافيش ، لو إقتربت منه ستضحك ، رغم جحوظ عينيه فهو ليس مخيفا ، تعابير وجهه مضحكة في شتى أحواله ، أحمد الله أنني لست شجرة مقطوعة. قالها وأطلق ضحكة ساخرة بينما عيناه الخضراوتين تبرقان بقوة ، وهنا لكمه سام في أحد جذوعه ساهيا ، قبل أن يطلق سام صرخة ألم قصيرة وهو يفرك كفه ويقول :

- ياإلهي ! ، لقد نسيت يا سيموندسيا أنك مجرد شجرة نادرة ، لقد كبرت بسرعة يا صديقي لا أصدق أنك مجرد عشبة ، هل تعلم ، أنا مدين للسيدة كينلاريا أنها تركت لي بذورك الجميلة ، أنت صديق لا يقدر بثمن فليحفظك الله .

عاطفة حيوان

بعد أن قطع كل من سام وسيموندسيا شوطا طويلا وشارفا على الوصول إلى قرية كانكون ، لفت إنتباه سام بعض حيوانات البيسون(ثيرانا ضخمة) ، عددها ثلاثة ممدة على الحشائش الخضراء بلا حراك ، فأشار إلى سيموندسيا بينما يمط شفتيه وهو يقول في قلق :

- إنظر إلى تلك الثيران المسكينة يبدو أنها قد فارقت الحياة ، ظننتها بدءا نائمة ، لكن لماذا الموت الجماعي ، أخشى أن ذلك يشير إلى تفشي مرض ما ، هل توافقني الرأي سيموندسيا ، يبدو أن نسر الملك ذاك اليوم يوم حظه ، لقد حصل على وجبة دسمة من البيسون والغزلان .

هز سيموندسيا رأسه موافقا بينما تتمايل الأعشاب المغطاة على وجهه للأعلى والأسفل ، قبل أن يقول :

- نسور الملك يا سام لا تأكل إلا الجيفة ،وهذا يعني أنه لن يأكل حيوانا محتضرا ، ربما أنت على حق سنعرف قريبا ، كدنا نصل إلى قرية كانكون الجميلة .

وصل سام وسيموندسيا إلى كوخ السيدة سارة خاليسكو القابع فوق تلة صغيرة ، والدة جاك والمسؤولة عن تربيته بعد وفاة زوجها في إحدى الحروب ، كان الكوخ متواضعا يحيطه مزرعة لتربية الأبقار، وحولة نمت بعض الحشائش ، وبمجرد أن لمحت سارة كلا من سام وسيموندسيا يقتربان من الكوخ ، توقفت عن حلب البقرة وجففت يديها بطرف قميصها في إرتباك ، إقترب منها سام يصافحها ، بينما سكن سيموندسيا تماما بجانب الأشجار ، الأمر الذي جعل سارة تحدق في ذهول فاغرة فاهها في سيموندسيا االذي سكن تماما عن الحركة ، قبل

أن ينتزعها سام من دهشتها وهو يقول بينما يمد يده لبصافحها :

- مرحبا سيدة سارة سررت برؤيتك أنا الطبيب سام ، حضرت لرؤية إبنك جاك ، سمعت أنه مريض للغاية .

وهنا إلتفتت سارة بينما تذدرد لعابها وهي تصافح سام ، وعلى وجهها مازالت علامات الذهول قبل أن تهز رأسها وهي تقول:

- لكن كيف ذلك ، أعني تلك الشجرة ، آه ، أعني كيف ، ت ت حرك ؟

إبتسم سام وهو يربت على كتف سارة برفق قبل أن يقول في لباقة :

- لا عليك سيدتي ، هل يمكنني رؤية جاك ؟

وهنا نفضت سارة رأسها قبل أن تضع يديها على جبينها في إرباك وتقول :

- يالقلة تهذيبي ، لم أدعوك إلى دخول منزلي إلى الآن ، تفضل سيد سام ، أرجوك إعذرني لقد تفجاءت حقا .

هز سام رأسه نافيا بينما يقول في تؤدة :

- هون عليك سيدة سارة ، وشكرا لك .

قالها ودلف إلى الكوخ بينما سارة تتبعه حتى وصلا إلى حجرة جاك، كان الكوخ متهالكا للغاية والتصدعات والشقوق تملأ أركانه ، أما حجرة جاك كانت مكونة من سريرين خشبيين ملتصقين ، وعلى جدرانها صور ورسومات جميلة لغزلان وأرانب وحيوانات أخرى ، والكثير من النباتات ، وفوق إحدى تلك الأسرة كان يرقد جاك الذي فتح عينيه بصعوبة محاولا النهوض مستندا على ذراعيه بينما يقول في وهن :

-أمي هل جاءنا ضيف ، من هذا الرجل ؟

أجابته سارة وهي تقترب من سريره وتمسح رأسه في عاطفة :

- إنه الطبيب الرائع سام الذي تربى على يد الطبيب البارع أميجو فرادو ذائع الصيت .

ثم تحركت بخفة نحو سام ، وقربت مقعدا خشبيا منه وهي تقول في ترحاب :

- تفضل سيد سام بالجلوس .

جلس سام وعلى وجهه إرتسمت إبتسامة رقيقة، بينما ينظر إلى جاك ، قبل أن يقول في هدوء :

- لا بأس يا جاك سوف تكون بخير .

وهنا لوحت المرأة بذراعيها وهي تقول :

- سوف أعد لك كوبا من الحليب طازج مع الفانيلا سيد سام ، أنا بارعة في ذلك ، ريثما تنتهي من فحص جاك، إنه مصاب بإرتفاع بدرجة الحرارة وغثيان شديد وتقيؤ ، ساتركما الآن .

قالتها وغادرت الحجرة ، أما سام فلقد نهض وتحرك تجاه جاك الذي إستسلم ل سام تماما وهو يفحصه .

أما خارج الكوخ فلقد وقف سيموندسيا يحدق في ما يدور داخل حجرة جاك بينما يقول في نفسه :

- لا تتأخر يا سام أرجوك ، فأنا أشعر بالملل الشديد هنا .

قالها وهو يحرك عينيه الخضراوتين يمنه ويسره وهو يتابع حشرة صغيرة حطت على أخشاب وجهه بينما يزفر في قلة حيلة ، لكنه فجأة شعر بحركةمريبة خلف ظهره ، وبسرعة إلتفت فاتحا ذراعيه الخشبيتين ، واتسعت عيناه في رعب هائل.

بعدما إنتهى سام من فحص جاك ، إلتفت إلى والدته ساره بينما يقول في إهتمام :

- لا تقلقي سيدتي ، أعتقد أنه مصاب بجرثومة الحمى ، إنها تشبه الكوليرا لكنها في مراحلها الأولى ، ويمكن تداركها ، لقد طورت مصلا من

نباتاتي يقضي عليها تماما ، ولقد أعطيته أول جرعة ، أريدك فحسب أن تلتزمي بإعطاءه الجرعات في أوقاتها، وسيتعافى بإذن الله على الفور ، إنه شجاع وذكي .

ثم إلتفت إلى جاك وهو يقول له في هدوء :

- أليس كذلك يا جاك.

هز جاك رأسه ببطء وهو ينظر إلى سام الذي تناول قدح الحليب من سارة ، وأخذ يرتشفه ببطء، قبل أن يرفع سام حاجبيه بينما يقول في نبرة إعجاب :

- إنه أفضل حليب تذوقته في حياتي ، إن مذاقه رائع أشكرك سيدتي.

إرتسمت على شفتي سارة إبتسامة رضا ، أما جاك فلقد أطال التحديق في سام ، قبل أن يطأطئ رأسه ، ويقول في حياء :

- سيد سام ، هل لي أن أطلب منك معروفا .

هز سام رأسه موافقا قبل أن يقول في ود :

- بالتأكيد ، مالأمر جاك؟

رفع جاك رأسه قبل أن يداعب أصابعه بعضها ببعض في إرباك وهو يقول :

- لقد سمعت أنك تجيد السحر أعني اه ، أبناء القرى المجاورة ينعتوك بالساحر ، وأنك تقوم بأشياء عجيبة بيديك ، وأنا حقا أتوق لرؤية بعض منها ، أنا أحب السحر ولم تسنح لي فرصة مشاهدته عن قرب ، إن السحرة يقومون بإستعراضاتهم في سيرك المدينة ، ويطلبون من الناس الكثير من المال ، أرجوك سيدي أنا ليس عندي مال كاف لرؤية ذلك ، أرجوك سيدي دعني أشاهد السحر عن قرب.

مط سام شفتيه في أسى قبل أن يقول :

- أنا لست ساحرا يا جاك ، أنا طبيب موهوب يحب النباتات ومخلص في عمله ، ولكل منا قدرته الخاصة به ، لكن أعتقد أنني

أستطيع أن أريك شيئا مميزا ، لحظة .

قالها وهو يلتفت إلى سارة التي إبتسمت في إنفعال بينما تعقد أصابعها .

تحرك سام نحو باب الكوخ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في قلق، فلم يجد سيموندسيا حيث كان يقبع ،أو في أي مكان حول الكوخ ، ولقد كان هذا الأمر بالنسبة لسام مرعبا للغاية وخطير.

حينما إلتفت سيموندسيا خلفه وجد رجلا قصير القامة ، كث الشارب ، واسع العينين يحدق فيه بذهول بينما يمسك فأسه المنشوبه في ظهر سيموندسيا قبل ان يقول في جنون :

- ياإلهي ماهذه الشجرة العجيبة !

وهنا إنحنى سيموندسيا في غضب يحدق في الرجل ، قبل أن يفتح تجويف فمه ، وهو يقول في عصبية :

- ماذا تريد مني أيها البدين ؟

حينما تناهى صوت سيموندسيا للرجل ، تهاوت فأسه من يديه قبل أن بسقط مغشيا عليه بجانب فأسه ، وهنا إعتدل سيموندسيا وهو يتحسس بأغصانه الصغيرة الشق الذي أحدثه الرجل قبل أن ينقل بصره حيث يرقد الرجل وهو يقول في تهكم :

- ضعاف هؤلاء البشر ، إنهم ضعاف حقا.

ثم هز كتفيه وتحرك إلى حيث كوخ السيدة سارة مجددا ، في هذه الأثناء كان سام واقفا على باب الكوخ عاقدا ساعديه أمام صدره في عصبية ، وبمجرد أن رأى سيموندسيا ، تهاوت ذراعيه بجانبه في إسترخاء وهتف ينادي بسيموندسيا ، الذي ما إن تناهى صوت سام لأذنيه حتى تحرك بسرعة تجاه الأول وهو يلوح له قبل أن يتوقف على بعد أميال من الكوخ ساكنا بلا أدنى حركة .

وهنا إلتفت سام إلى السيدة سارة وإبنها جاك وهو يهز كتفيه

بينـما يقـول في مـرح:

- ها قد أتى العرض بنفسه إليك يا جاك ، هل أنت سعيد بذلك.

في هـذه الأثنـاء كانـت السـيدة سـارة وجـاك يحدقـان فيـما حـدث بذهـول ، بينـما هـي تغطـي شـفتيها بأصابعهـا في إنبهـار ، أمـا جـاك فلقـد أخـذ يقفـز في وهـن، قبـل أن يقـول في سـعادة غامـرة :

- أشكرك سيد سام لقد كان عرضا جميلا للغاية.

غـادر سـام وسيموندسـيا قريـة كانكـون عائديـن لقريـة ليرمـا ، وهـما يشـعران بإرتيـاح كبـير لمـا قامـا بـه ، ولم يكونـا يـدركان أن ثمـة أمـر عصيـب ينتظرهـما هنـاك!

من يخطط لمن

في صباح اليوم التالي ، إستيقظ سام حينما تناهى إلى مسامعه طرقات قوية قبل أن يفتح الباب بحذر بينما يقول :

- من الطارق ؟

أتاه صوت وقور لرجل يقول في تؤدة :

- ساعي البريد سيدي ، لديك بريد تفضل بإستلامه .

وهنا فتح سام باب الكوخ على مصراعيه لتقع عيناه على رجل وقور في الثلاثين من عمره يرتدي زيا رسميا ويعتمر قبعة بيضاء من القش ، وهنا ألقى سام عليه التحيه قبل أن يمد يده في هدوء ليتناول البريد من الرجل ، تسلم سام البريد ، ثم أغلق الباب حينما إبتعد الرجل ، وبخطوات سريعة وبيدين ترتجفان فض المظروف ، ليجده يحمل رسالة من طبيب كان يعالج والده جون من الهيستيريا ، وحينما وقعت عينا سام على محتوى المظروف ، تسمر في مكانه مصعوقا ، فلم يكن يعلم بتاتا أن والده كان يعاني من تعدد الشخصية او إنفصام الشخصية ، فإن لم يكن والده جون هو قروي بسيط ، فمن هو إذن؟؟؟

ذهب سام إلى كوخ والده ليتفحص المكان ، أملا في شيئ يثلج صدره الخائف والمملوء بالظنون ، تحرك ذهابا وإيابا في حجرة المعيشة قبل أن يتوقف ويفرك رأسه بينما يطلق زفرة حارة من أعماق قلبه ، ثم ألقى بجسده على الأريكة المتهالكة هناك والتي مع إرتطامه بها تطاير الغبار حوله ، الأمر الذي جعله يسعل في وهن ، دار ببصره سريعا في أرجاء الحجرة كان الكوخ مهجورا منذ زمن، وكل شيئ يعلوه الغبار ، زوايا الكوخ كانت تعج ببيوت العنكبوت ، كان الأمر بثمته مربك ، تمالك سام أعصابه مجددا وهو ينهض لتفحص بعض الرفوف

الخشبية و الأدراج إلا أنه لدهشته كانت جميعها خالية تماما ، الأمر الذي جعله يتساءل في دهشة ، من يمكنه أن يعبر الكوخ ويسرق تلك الأوراق قبل أن يحك ذقنه وهو يقول لنفسه في حزم :

- هل يعقل أن السيد أميجو هو من أخذ تلك الأوراق ؟

قالها ونهض من مقعده متوجها نحو باب الكوخ قبل أن يقف على الأرضية الخشبية البيضاء لعتبة الكوخ ، محاولا عصر ذهنه ، هو يدرك تماما أن السيد أميجو لم يكن يخفي شيئا عنه ، وليس بمقدوره العودة إلى منزل السيد أميجو ، فبعد وفاته أصبح ملكا لشقيق هذا الأخير وبالتأكيد لن يحتفظ شقيقه في منزله بشيئ لا يعنيه ، من المحتم أن يكون قد تخلص من تلك الأوراق ،توقف سام يحدق في إحدى الزوايا ، كانت هناك نباتات الميملاريا التي نقلها مؤخرا من منزله إلى كوخ الأسرة القديم ، أملا في إعادة إعمار الكوخ، وحوله كانت النباتات تهمس بخفوت.

إلتفت سام إلى تلك النباتات محدقا في عصبية قبل أن يقول :

- مالأمر، هل ثمة خطب ما ؟

تبادلت نباتات الميملاريا نظرات غريبة فيما بينها قبل أن تنطق التبتة الأكثر طولا بينهم:

- إن ما يدور في خلدك حيال والدك صحيح ، يبدو أن ثمة أمر كان يعاني منه جون ، وهو الذي دفعه إلى إيذاء الجميع ماريا ، ساندرا وسيمون.

عقد سام حاجبيه في صرامة قبل أن يقول في قلق :

- ماذا تقصدين ؟

أجابته نباتات الميملاريا في حذر :

- إن لنبات الميملاريا القدرة على قرآءة ذاكرة المكان، لماذا لم تسأل نفسك يا سام لماذا لم يسمح جون للسيد أميجو بفحص زوجته ماريا،

ولماذا لم يكن يسمح لكم بالعبور هناك حدق سام بذهول في نبات الميملاريا بينما تتابع حديثها في حزم:

- كنت أنا في إصيص صغير بجانب النافذة المغلقة ، لقد كانت السيدة ماريا تحب نباتاتي كثيرا ، أذكر ذلك اليوم ، لقد رأيت جون يرتدي معطفه البني ويسعل في وهن قبل أن يدلف حجرة ماريا ويغلق الباب خلفه ، كانت السيدة ماريا تغط في سبات عميق جراء تناولها العقاقير ، أخرج جون من جيبه بعض البذور ،سحقها بخفه في وعاء من الفضة تناوله من الرف الخشبي فوق سرير ماريا ، بعد أن طحنها قام بمزجها في كوب مملوء بعصير الفاكهة، ثم وضعه على طاولة خشبية بجانب سريرها ، قبل أن يلتفت يمنة ويسرة في قلق ، ثم غادر الحجرة بخطوات عصبية ، لم أكن أفهم مالذي يحدث أنذاك، لكن الأمر برمته كان مريبا ، حاولت أن أعرف ماهي تلك البذور ، أرسلت صديقا لي ، عصفور كناري ، كان يحط على النافذة بإنتظام ليتفقد السيدة ماريا ، صديقته العطوفة التي كانت تطعمه كل صباح قبل أن تسقط في المرض ، أرسلته خلف جون ولقد تبعه وهو ينفض بقايا البذور من جيبه في الحقل، ولقد علم على الفور ماهية تلك البذور ، إنها نبتة الداتور ، إنها نبتة سامة ، رغم تاريخها العريق في المداواة إلا انها ينبغي أن تستعمل بحذر بالغ ، ولا أظن أن والدك جون كان لديه تلك الخبرة ، وهذا يعني يا سام أن والدتك ماريا ربما ماتت جراء تناولها لهذا السم ، أي أن جو بترت النبته عبارتها مرغمة حينما قاطعها سام بينما يصرخ في جنون :

- كاذبة، جميعكم يكذب ، ليس صحيحا والدي جون كان يحب زوجته ماريا ، لقد بقي يرعاها منذ أن مرضت ولا يمكن أن يؤذيها أبدا .

قالها وإنهار جاثيا على ركبتيه على الأرضية الرخامية البيضاء

بجانـب الكـوخ ، وأطـرق رأسـه الـذي كاد أن ينفجـر ، فلـم يعـد سـام يـدرك ماهـي الحقيقـة أبـدا .

من يعلم أكثر يبكي أكثر

عاد سام إلى كوخه يجر خطواته خلفه ، ودلف حجرة نومه وتمدد بشعره الأسود الفاحم وجسده النحيل على أرضية حجرته المصنوعة من الجرانيت الأسود المعرق بشيئ أخضر يشبه الجذور ، بلا حراك وفي أعماقه تتعالى التأوهات ، كما لو كان ظلاما يثقب قلبه ضوء الفجرسام محدثا نفسه:

- الآلام التي طالما عالجت الناس منها تنهش جسدي الآن ، أدرك تمام أن حياتي وحياة عائلتي مجرد لغز لعين ، أشعر أن معاونتي لأهل قريتي لم يجلب لي إلا التعاسة، أنا مملوء بالحزن ، كل شيئ هنا في ليرما يلدغني ، إنني حقا أتساءل ! ، لماذا يبقى الإنسان في بقعة ما كل ما فيها ينهشه ، حتى وإن كانت هي التي لفظته من فمها مثل حرف مقدس ، الموت الذي سرق مني أحلامي في صغري ، والدي ، إخوتي ، صديقي ، أستطيع أن أشم رائحته وهو يدلف إلى حجرتي الآن بعدما صرت فتيا مجددا ، وهنا تناهى إلى مسامعه خطوات ثقيلة وانبعثت في الارجاء رائحة العشب، حاول سام بصعوبة أن يلتفت إلى باب حجرته الذي إنفتح ببطء في هذه اللحظات ، وبخطى ثقيلة دلف سيموندسيا، لبرهة وقف يحدق بعينيه الخضراوتين في سام بشفقة ، قبل أن يجثو على ركبتيه بالقرب منه و ينحنى نحوه ليلصق شفتيه في أذن سام ، بينما يهمس:

- سام ، مالأمر ؟ أرى أن قواك تخور يوما بعد يوم ، أخشى أن قدرتك تلك التي تمنحها للتراب تستنزفك ، عليك أن تكف عن فعل ذلك .إكتفى سام بأن يحرك رأسه نفيا بينما يذدرد لعابه بصعوبه ثم يردد في همس:

- ليتني أستطيع أن أتوقف سيموندسيا ، لكن الجميع بحاجة إلي ، إنهم ضعاف وخوسيه يعرض عليهم الدواء الحقير الذي ينتجه مصنعه بأضعاف أثمانه ، إنهم قرويين لا يملكون إلا أراضيهم ، قوتهم وضميرهم، وهو خائن بلا ضميرهنا عقد سيموندسيا حاجبيه في ألم قبل أن يقول في حزم :

- إسمع يا سام لا تكن غبيا ، إترك ليرما لقد خذلك أبناء قريتك، إلتفوا حولك في قوتك والآن تركوك لتموت في ضعفك، إنهم جبناء ، لا تقتل نفسك لأجلهم.

قالها وهو يمسح رأس سام برفق في شفقة ، لكن سام بدأ يسعل في وهن قبل أن يشيح بوجهه بعيدا عن العملاق ، الأمر الذي دفع بالعملاق لبصرخ في قسوة بينما تنبثق الأشواك الحادة من جسده في مظهر مخيف وهو يقول بصوت حازم :

- لكن أخبرني لماذا ذهبت إلى أرض خوسيه سرا ، هل قررت أن تعمل لحسابه ضد القرويين مقابل أن يساعدك في الحصول على المال لإجراء عملية تجميل ليدك المصابه ، سام أرجوك دعنا نغادر القرية، لنذهب إلى تولوم أو كانكون أو مكسيكو سيتي، أنا لا أريدهم أن يقتلوك ، خوسية كاذب لن يقدم لك يد العون ، سمعته وحراسه يتآمرون لقتلك، لقد كانوا يبحثون عنكفكر بنا يا سام إن كل تلك النباتات التي ضقت بها ذرعا تحبك .

وفجأة وفي نفس البرود حرك سام رأسه بعيدا عن النافذة ببطأ ، ليواجه صديقه وهو يقول بصوت خافت :

- هل تعتقد أنك تعرف كل شيئ يا سيموندسياللحظات بقي سيموندسيا يحدق في سام بذهول قبل أن يقول في ثقة:

-نعم ، ولم لا !!

إرتسمت على شفتي سام إبتسامة باهتة قبل أن يقول في هدوء:

- لـن يسـتطيع خوسـيه إيـذائي ، لقـد غرسـت يـدي في حديقتـه، لا لأعمـل لحسـابه بـل لأننـي أعـرف طبيعـة أرضـه ،أجـداده لم يزرعـو هنـاك سـوى الشـوك ، سـتخرج الأشـواك مـن الأرض وتحـاصره ، وسـيدرك حينهـا قـوتي وضعفـه.

إرتسـمت عـلى وجـه (سيموندسـيا) إمـارات الذهـول وهـو يحـدق في وجـه سـام الباهـت وهـو يحـاول النهـوض معتمـدا عـلى ذراعيـه ، ثـم أسـند ظهـره للحائـط وأغمـض عينيـه وهـو يـردف في خفـوت واسى :

- ليـس أبنـاء قريتـي مـن خذلـوني يـا صديقـي ، حتـى أنـت شـككت في ، ونسـيت أن يـدي كانـت عروقـك قبـل تلـك الجـذور التـي تغذيـك، أنـا مـن جلبتـك مـن باطـن الأرض ، قـدري أن أحظـى بطاقـة أوزعهـا عـلى العـالم ليكـون بخـير بينـما أنـا أتفتـت ، أنـا لم أخـن أحـدا يـا صديقـي ، الحيـاة خانتنـا ورغبتنـا السـديمية في الـب .

وهنـا قاطعـه (سيموندسـيا) في نـبرة لا تخلـو مـن الأسـف وهـو يقـترب منـه :

- آسـف سـام لقـد إختلـط عـلي الأمـر ، إننـا في زمـن لعـين يسـوده فقـدان الثقـة.

لكـن سـام قاطعـه بإشـارة مـن يـده أن يتوقـف بينـما يقـول في وهـن وهـو يفتـح عينيـه :

- دعني وشأني الآن يا (سيموندسيا) أريد أن أخلو بنفسي.

خـرج سيموندسـيا يجـر جـذوره أسـفا ، وقـرر أنـه سـيتروى في إتخـاذ قـراره مهـما كان ، كي لا ينـدم عليـه لاحقـا.

حينما تنطفئ الشمس

قـرر سـام ان سـيذهب لزيـارة مدينـة مكسـيكو سـيتي لإسـترجاع ذكرياتـه مـع شـقيقه سـيمون ، حينـما وصـل إلى هنـاك قبيـل غـروب الشـمس شـعر برغبـة عارمـة في الذهـاب إلى حديقـة تشابولتيبيك، تذكـر أن سـيمون قـد خـط لـه أمـرا خاصـا هنـاك ، وبينـما هـو يلـوم نفسـه لتقاعصـه عـن زيـارة المـكان ، ويتحـرك في قلـب هـذه المدينـة بخطـى مرتبكـة، إرتطـم فجـأة برجـل ضخـم الجثـة كان يسـير بسرعـة ، الأمـر الـذي جعلـه يتوقـف ويعتـذر ، قبـل أن يلفـت إنتبـاه سـام واجهـة براقـة لمكتبـة حديثـة بالقـرب منـه ، وبخطـى رشـيقة إقـترب مـن تلـك المكتبـة، وبينـما هـو يتأمـل في واجهتهـا الزجاجيـة، وقعـت عينـاه عـلى بعـض الكتـب الخاصـة بالنباتـات، التـي كانـت معروضـة عـلى رفـوف معلقـة بالتبـادل، عـلى شـكل أجنحـة بيضـاء صغـيرة، فتنـت سـام وجعلتـه يمـرر عينيـه بتـأن عـلى عناويـن الكتـب هنـاك ، وفجـأة رفـع حاجبيـه بنظـرة ظفـر ، ثـم دلـف إلى المكتبـة وألقـى التحيـة عـلى بائـع الكتـب الـذي كان مطرقـا رأسـه، منشـغلا ببعـض الحسـابات ، وهنـا رفـع البائـع رأسـه بينـما يدخـن غليونـه ثـم رد في ترحاب:

-أهـلا سـيدي ، تفضـل لدينـا الكثـير مـن الكتـب والمجلـدات العلميـة والمجـلات ، بمـا يمكننـي أن أخدمـك؟

تقـدم منـه سـام بهـدوء قبـل أن يشـير إلى إحـدى الكتـب، القابعـة داخـل الواجهـة الزجاجيـة للمكتبـة ، وهـو يقـول في فضـول واهتـمام:

- أريـد الكتـاب الخـاص بالأعشـاب النـادرة وتصنيفهـا ، ذاك ذا الغـلاف الأسـود ، اممـم ، آسـف لقـد نسـيت إسـمه .

قالهـا وفـرك رأسـه في خجـل ، وهنـا إبتسـم بائـع الكتـب في لباقـة قبـل أن يقـول :

- تقصد كتاب موسوعة الأعشاب النادرة ،لا عليك سآتيك به حالا ، إنه من أحدث الكتب لدينا وأكثرها تميزا.

قالها وتوجه ناحية الواجهة الزجاجية بينما بقي سام ينقل بصره في أرجاء المكتبة في فضول واضعا يديه في جيب سرواله ، قبل أن يعقد حاجبيه في إنفعال وهو يحدق في كتاب سميك ذو غلاف أخضر يتوسطه عنوان (تمييز النباتات السامة) ، وهنا بحركة لا إرادية مد سام يده نحو ذاك الكتاب في إهتمام وتناوله، ثم أخذ يقلب صفحاته بين يديه بخفة ، وفجأة إتسعت عينا سام في ذهول وتسمرت أصابعه ،حين وقعت عيناه على إحدى الصفحات هناك ، قبل أن يقول محدثا نفسه في إرباك وحيرة:

- لا اصدق ، هذا هراء كيف ذلك !

في هذه الأثناء كان البائع قد جلب الكتاب الذي طلبه سام ، و حينما رأى إهتمام سام بالكتاب قال له مشجعا وهو يضع الكتاب أمامه :

- يبدو أنك مفتون بالنباتات ، إن هذا الكتاب قديم للغاية وقيم ، لا غنى عنه لأولئك الذين يزاولون مهنة طب الأعشاب ، إذا أردت الكتابين معا ، سأقدم لك سعرا جيدا ، أنا رجل يحترم القراء والمثقفين.

هز سام رأسه موافقا قبل أن يخرج النقود التي طلبها البائع ويأخذ الكتابين ويغادر المكتبة في خطى مرتبكة وقلقة للغاية ، فلقد كان ما وقعت عليه عيناه في ذاك الكتاب، يربكه ويخيفه و يلقي بأصابع الإتهام لتسمم جرح سيمون، نحو شخصان يحبهما سام ، والده جون أو عشبة سيموندسيا .

سر الأسرار

لم يدرك سام لماذا قادته خطاه نحو نافورة تيمبلانزا، التي أطلق عليها سيمون إسم نافورة مائلة ، ربما بسبب رغبته الدفينة في إستعادة أخيه عبر ذكرياتهما معا أو ربما لأنه أراد أن يعرف السر الذي كتبه له أخوه سيمون عن والده وبقي مدفونا لأكثر من عشرين عاما ، وبخطى قلقة وصل سيمون محيط نافورة تيمبلانزا ، لتتدفق الذكريات في رأسه نحو تلك البقعة ،التي خط له فيها سام بعض الكلمات الخاصة ، ومع إقترابه تناهى إلى مسامعه صوت هديل الحمام حوله، ليجد أن عشرات الحمام الزاجل تغطى حافة حوض النافورة والأرضية حولها ، لدقائق بقي سام متجمدا في مكانه وهو يحدق في هذا الحشد بنظرات عصبية قبل أن يمط شفتيه ، وتخرج من بين شفتيه زفرة حارة، وبحركة لا إرادية وضع يدهفي جيب سروالة ، لتقع يده على بعض بذور النباتات التي يربيها سام، إبتسم سام في هدوء ،قبل أن يخرج تلك البذور و ينثرها بالقرب من الحمام ، تجمع الحمام بسرعة حول البذور وأصبح الحوض خاليا ، إقترب سام أكثر وبعينين فاحصتين أخذ يبحث عن تلك البقعة التي خط له فيها سيمون بعض الكلمات ، بينما يتحرك حول النافورة ، كانت النافورة ضخمة وعملية البحث مرهقة ، كالبحث عن إبرة في كومة قش ، كما أنه قد مر وقت طويل للغاية على تلك الكتابة ، ومن المحتمل أنها تآكلت بفعل عوامل الجو المختلفة ، لكن سام كان مصرا على إيجادها ، بعد عدة دقائق من البحث المضني ، فشل سام في إيجادها وكاد اليأس أن يتملكه ، لولا أنه لاحظ تجمع طيور الحمام الزاجل لتشرب من بقعة حول الحوض دون سواها ، إقترب سام من تلك البقعة ، وأخرج آخر حفنة بذور في

جيبه ونثرها بعيدا ، طار الحمام بعيدا عن الحوض وتجمع حول تلك البذور ، بسرعة إنحنى سام مجددا ناحية الحوض بينما يتلمس حافته بعصبية ، ولدهشته وجد سام تلك النقوش المتآكلة ، لكنه إستطاع أن يتهجأها ، وبدأ يردد ماجاء فيها بينا عيناه تتسعان في ذهول أكثر وأكثر :

- إن أبي مريض يا سام ، أنا خائف ربما يؤذيك.

لبرهة شعر سام بغصة في حلقه ، كما أنه كان يشعر بالحيرة والتخبط ، على الرغم من أن رسالة سيمون مبهمة ، إلا أنها كانت دليل يثبت صحة مخاوفه، بشأن مسؤولية والده جون عن تسمم جرح سيمون ،لكنه لم يرد تصديق ذلك ، أو ربما كان الأمر كله لا يتعدى مزحة سخيفة من سيمون ، كانت هذه الأسئلة العالقة بلا أجوبة والشكوك ، تطرق عقل سام وتهشمه ، هل كان والده مريض حقا؟ ، وما هو المرض الذي تحدث عنه سيمون ؟هل هو الفصام ؟،هل هذا يعني أنه تعمد إيذاء ماريا ،سيمون وساندرا ؟إن لم يكن هذا الأمر صحيح برمته ، فهذا يعني أن سيموندسيا ، هو عشب شديد السمية ، وأنه هو الذي تسبب في تلف محصول الذرة الخاصة بوالده ، لكن إن كان هذا الأمر صحيح ، هل يدرك سيموندسيا ذلك ، وإن كان يدرك ذلك ، فهذا يعني أنه المسؤول عن تسمم جرح سيمون !

هز سام رأسه في عصبية لينفض عنه هذه الأفكار ، الأفكار التي تجعل أولئك الذين يكن لهم سام الود ويشاطرون روحه ، ليسوا سوى أعداءه ، لكن سام لم يكن ليرضخ لمحض شكوك بحته، وبقي عليه أن يتأكد من كل شيئ قرأه أو رآه ، بقي عليه أن يبحث عن الحقيقة ، ومدى صحة المعلومات التي في الكتاب والتي كانت تصنف عشبة سيموندسيا ، العشبة التي نمت لتصبح كائنا عملاق ، يشاطر سام الحب والإخلاص، على أنها عشبة سامة وخطيرة!!

خيانة صديق

بينما كان سام يسير بخطوات سريعة ، عبر الحقول المترامية متجها إلى كوخه لملاقاة سيموندسيا ، مر بنبات صغير أحمر اللون مخيف ، يطلق عليه كف الشيطان أو القرد لأن زهرته الحمراء تبدو كما لو كانت كف قرد ، وبمجرد أن لمحت تلك النبتة سام يسير بمحاذاتها حتى بدأت بالبكاء والعويل ، الأمر الذي جعل سام يتوقف بينما يرمقها في إهتمام ، ثم إنحنى يلمس أوراقها بيديه قبل أن يقول في دهشة :

- ما بالك أيتها النبته ، علام البكاء ، هل أصابك مكروه ؟

أجابته النبتة في أسى بليغ بينما تحرك أصابعها النحيلة:

-نعم ، صديقك سيموندسيا ، لا يريد أن يترك لي حرية النمو في حديقتك الخلفيه ، إنه ينعتني بنبتة الخرافات ويسخر مني ومن قدماء الآزتيك ومن حضارتنا العريقة، ويفضل علي نبتة سامة تسمى الداتور ، هو لا يهتم سوى بنفسه، إنه أناني ، وحين أخبرته أنني سأشكوه لك ، سخر منك أيضا ، نعتنا بالقبيحين ، لقد أصبح مغرورا منذ أن أوليته إهتماما خاصا وجعلته صديقك المقرب ، من حقي المحافظة على نسلي ، كما إنني سمعته وهو يحيك لك مؤامرة مع نباتات الميملاريا والنرجس الرقيق.عقد سام حاجبيه في إنفعال قبل أن يقول في عصبية :

-مؤامرة ! سيموندسيا يحيك لي مؤامرة ، لماذا ؟ لا أصدقك .

تهدج صوت نبتة كف الشيطان في أسى وهي تقول :

-اقسم لك، إنها الحقيقة ، كما إنني رأيته يقص من جذوره وأوراقه السفليه ، أظنه يخفي مظهره الحقيقي ليخدعك ، ربما هو نبتة

سـامة ويقـوم بذلـك ليتقـرب منـك ويقتلـك ، ولكنـه يخطـط أولا لتكثيـف بنـو جنسـه عـلى الأرض ، لإلحـاق الأذى بالبـشر والحيوانـات ، ألم يطلـب منـك أن ترافقـه إلى أرض بعيـدة في كانكـون ؟

وبمجـرد إنتهائـه كان سـام قـد تربـع الشـك في قلبـه تجـاه سيموندسـيا ، ولقـد سـاهم في ذلـك المعلومـات التـي قرأهـا عـن فصيلـة سيموندسـيا في موسـوعة الأعشـاب النـادرة ، وبحركـة عصبيـة عقـد سـام ذراعيـه في صرامـة أمـام صـدره قبـل أن يقـول في حـزم :

- حسـنا شـكرا لـك نبتـة كـف القـرد عـلى هـذا الإيضـاح ، سـوف أجـد لـك بقعـة مناسـبة في حديقتـي الخلفيـة لتنمـو وتتكاثـر بهـدوء دون أن يزعجـك أو يسـخر منـك أحـدا .

قالهـا وغـادر تـاركا نبتـة كـف الشـيطان أو كـف القـرد تتمايـل في سـعادة وخبـث ، فمـن وجهـة نظرهـا كانـت قـد إسـتطاعت أن تخـدع سـام وتمـلأ قلبـه بالضغينـة والشـك تجـاه صديقـه سيموندسـيا ، أو ربمـا هـي عـلى حـق وكل مـا قالتـه عـلى سـبيل المصادفـة بشـأن سيموندسـيا حقيقـي، مـن يـدري !

تحـرك سـام بخطـوات عصبيـة تجـاه سيموندسـيا الـذي كان منتصبـا عـلى تلـه قريبـة وسـاكنا ، ومـا إن وصـل هنـاك حتـى رمقـه سيموندسـيا بنظـرة عجيبـة قبـل أن يسـأله في إهتـمام :

- أهـلا سـام ، هـل تعـرف لقـد جـال بخاطـري أن أسـألك إن كنـت تعـرف سر إنقـراض فصيلتـي (قلـب المـاء ، أو سيموندسـيا) ، هـل تعـرف مالسـبب يـا صديقـي؟

إرتبـك سـام حينـما نعتـه سيموندسـيا بالصديـق ، تنـاسى غضبه وشـكوكه وهـو يسـأله في نـبرة لا تخلـو مـن الإهتـمام :

-لا أعرف سيموندسيا ممتن لو أخبرتني عن السبب .

أومأ سيموندسيا رأسه وهو يقول :

- إن نبتة قلب الماء في بداية نشأتها كانت عشبة سامة وبداخل أوعيتها ماده هلامية ، ظن قدماء الآزتيك أنها سامه ، لكن بعض إجراء عدة بحوث تبين لهم أنها يمكن ان تستعمل في تعقيم الجروح ، لكنهم لم يستطيعوا إستعمالها في شتى مراحل حياتها ، لقد فوجئوا أن النبتة تتحول لنبتة شديدة السمية بشكل كامل .

إتسعت عينا سام في ذهول وألم قبل أن يردف سيموندسيا في هدوء:

- وأن المادة الهلامية تجف تماما وتصبح يابسه حولها مثل الماء ولأن العشبة في مراحلها الأولية تكون قلبية الشكل وبسبب جفاف الهلام حولها ، أطلقوا عليها إسم قلب الماء أو سيموندسيا بلغة الآزتيك القدماء ، وظلت هذه النبتة مهملة يتجنبها القريب والبعيد إلا أن إستطاع فلاح ذكي من تهجين تلك النبتة ببذور نبات الأبنوس ، فأصبحت النبته المهجنة الجديدة تمتلك خواص الأبنوس وخواص قلب الماء ومع مرور الوقت تلاشت خاصية السمية من أوراق تلك النباتات، الأمر الذي زاد من إستهلاك تلك النبتة وجعلها عرضة للإنقراض ، وخاصة أن أخشابها القوية تستخدم في صناعة الأثاث وصناعة الادوات الموسيقية مثل الناي ومفاتيح البيانو، لذلك الناي له صوت جميل إنه يحمل عطاء النبتة وصداقتها مع الإنسان ، هل تصدق ذلك يا سام ، ياله من أمر عظيم ومؤسف في آن واحد ، هل تصدق أن مفاتيح البيانو الخاص بك والناي الذي تعزف عليه صنعوا من جذوع وأجسام أجدادي !

تغير وجه سام وهو يحدق بذهول في سيموندسيا قبل أن يطأطئ رأسه وهو يقول :

-الكثير من الكائنات تعطي أكثر مما تأخذ يا صديقي.

ثم تغيرت نبرة صوته لتحمل الكثير من الأسى وهو يضيف :

-هائنذا أقوم بدوري على أكمل وجه أنا حلقة الوصل بين الحياة في سطح الأرض وداخلها يا سيموندسيا، أعتقد أن في راحتي تلك، قوة

الـتراب أو قلبـه، أشـعر أن قـواي تخـور يومـا بعـد يـوم ، قـواي التـي تجـذب النباتـات المندثـرة في أعـماق التربـة إلى السـطح ،لتنمـو ، وتكـبر وتنبثـق مـن عـدم المـوت، لقـد حرمـت مـن الإلتحـاق بالجامعـة بسـبب تشـوه يـدي ، لا أسـتطيع أن أهـرب مـن الأمـر بلبـس القفـازات ، أنـا خائـف مـن أعينهـم ، خائـف مـن نظـرات الشـفقة أو الإحتقـار .

إقترب سيموندسيا من سام وأخذ يربت على كتفه بينما يقول في ود:

- هـون عليـك يـا سـام ، لابـد أن هنـاك حـل لهـذا الأمـر ، إنـه ليـس سـيئا لهـذه الدرجـة.

إلا أن سـام أزاح يـد سيموندسـيا (جـذع آخـره أغصـان صغيرة) الخشـبية عنـه في عصبيـة بينـما يقول :

- لا مـا مـن حـل لهـذا الأمـر إنـه قـدري ،لكـن يـا سيموندسـيا منـذ وقـت طويـل وأنـا أسـتخدم أوراقـك في مـداواة مرضـاي ، ولم تظهـر أي حالـة تسـمم جـراء ذلـك، بـل بلعكـس ، لقـد سـاهمت في معالجـة الكثـير مـن الأمـراض ، فمالـذي يعنيـه ذلـك !

لكـن سيموندسـيا حـدق بنظـرات خاويـة في سـام ولم ينبـس ببنت شـفة، الأمـر الـذي جعـل سـام يعـض عـلى شـفتيه في غضـب قبـل أن يضيف :

- هـل لـك علاقـة بتسـمم جـرح أخـي سـيمون يـا سيموندسـيا ، لقـد إسـتخدم السـيد أميجـو أوراقـك في تضميـد جـرح سـيمون ، فـما الـذي يعنيـه ذلـك أخـبرني؟ هـل أميجـو جاهـل إلى هـذا الحـد ليسـيئ تقديـر إن كانـت أوراقـك سـامة أو لا ؟ أغلـق سيموندسـيا عينيـه في ألم قبـل أن يقـول في إستسـلام:

- لقـد سـبق وأخبرتـك يـا سـام أن سـمية أوراقـي مختصـة بمرحلـة مـن مراحـل نمـوي ثـم تتـلاشى تمامـا ، لا أعتقـد أننـي تسـببت بمـوت سـيمون ،ولا تنـسى أن والـدك جـون كان أنـذاك يـشرب الجعـة كثـيرا ، إذ كان يعـاني مـن إكتئـاب حـاد نتيجـة لمـوت إبنتـه سـاندرا ومـرض زوجتـه ماريـا ، أعنـي أنـه

ربما أخطأ الأعشاب أثناء تضميد جرح سيمون .

قالها بنبرة أقرب للبكاء ، الأمر الذي جعل سام يتبادل نظرات عصبية مع سيمونسيا قبل أن يتركة ويغادر بخطوات مترنحة ، وهنا هتف سيموندسيا ينادي سام في أسى لكن سام لم يجبه ومضى إلى الكوخ بينما عيناه بئران من الدموع .

وداعا ليرما

إستيقظ سام على مداعبة خفيفة فوق وجنتيه ، ليفتح عينيه بصعوبة بينما يغمغم :

- ياإلهي ماهذا ؟

إتسعت عيناه في ذهول وهو يحدق في سيموندسيا الذي أدخل يده الرخوة من النافذة لتلامس وجه سام ، إبتسم سام حينما أتاه صوت سيموندسيا وهو يقول في ود :

- صباح الخير يا سام ، التسلل من النافذة أمر مريح للنفس بالنسبة لنبتة متسلقة مثلي مرنة وقوية .

تذكر سام فجأة ظنونه تجاه سيموندسيا ، الأمرالذي جعل إبتسامته تتبخر قبل أن يقول في عصبية :

- مالأمر يا سيموندسيا ، لم أنت هنا باكرا ؟

شعر سيموندسيا بعصبية سام إلا أنه أجابه في هدوء :-

لدي أخبار مفرحة لك يا صديقي .

رفع سام حاجبيه في دهشة بينما يقول في فضول :

- إلي بها يا سيموندسيا .

لوح له سيموندسيا ليخرج من الكوخ ، نهض سام بسرعه وارتدى سترته ، خرج من الكوخ لملاقاة سيموندسيا الذي جلس بجانب بركة ماء صغيرة هناك ، جلس سام بجانبه وهو يقول في إهتمام :

-كلي أذان صاغية .

وهنا رفع سيموندسيا رأسه تجاه الشمال وهو يقول :

- بطريقة ما يمكنك إرتياد الجامعة ، والتخصص في علوم النباتات ، بل والتخلص من هذا التشوه الذي في يدك وقوتك المفرطة التي

تنهش روحك من الداخل ، آن الأوان يا صديقي لتعيش لنفسك .حدق به سام في إهتمام قبل أن يطرق رأسه وهو يقول في أسى بليغ :

-لكن كيف يا سيموندسيا أتخلص من قواي ، إن القرويين الضعفاء مازالوا بحاجة إلي ، الخدمات التي أقدمها لهم بالمجان ،البذور التي أعاونهم في الحصول عليها ، والمحاصيل الرائعة تلك التي ينتجونها ، لا يمكنهم أن يحصلوا عليها بدوني ، إن هذا يعني أن أجعلهم مجددا تحت رحمة خوسيه الجشع الذي ينهب أراضيهم ليقدم لهم بعض المبيدات والأدوية التي تؤذيهم رويدا رويدا .

لا يمبتر عبارته حينما قاطعه صوت سيموندسيا بينما يقول في حزم:

- القرويين بحاجة ليعتمدوا على أنفسهم يا سام ، لقد قدمت لهم بذور مبتكرة وطرق جديدة بالزراعة ، بل ووصفات طبية عبقرية يمكنهم الإستعانة بها في الإستطباب ، إن القرويين بحاجة لأن يثوروا ضد خوسيه وظلمه فحسب.

ربت سيموندسيا على كتف سام بقوة ، وهو يقول في نفس الحزم :

-إسمعني جيدا يا سام ، في مدينة تولوم وعلى أنقاض حضارة المايا عدة كهووف ونهر مقدس تحت الأرض ، يقولون أن التربه التي فوقه مقدسة ، وأن من هناك بدأت الحياة ، لو إستطعنا أن نصل إليها وتغرس يدك المصابة هناك ، ستشفى من تلك الطاقة كما تعلم أن هناك ظاهرة شهيرة تسمى (ظاهرة الإفضاء) وهذا يعني تبادل الطاقة او تفريغها بينك وبين الأرض مما قد يسهم في التوحد الحركي والإنفعالي في هذا الكون ، الأمر الذي سيعيد ليدك مظهرها الطبيعي.

هز سام رأسه متفهما ،صمت لبرهة قبل ان يقول في إنفعال :

- وكيف يمكننا أن نصل إلى هناك يا سيموندسيا .

لوح له سيموندسيا بذراعيه الخشبية وذراعيه الرخوة اللتان تعجان بأوراق الأشجار وهو يقول في حماسة :

- هـذا الأمـر سـهل للغايـة لا تقلـق يـا سـام ، أريـدك أن تكـون سـعيدا فحسب .

حدق به سام في نظرات شك وقلق بينما يقول في نفسه :

- تـرى مالـذي تخفيـه عنـي يـا سيموندسـيا ، أيعقـل أنـك تريـد إيـذائي، وأن إدعـاءات كـف القـرد حقيقيـة !

قالهـا وهـو يهـز رأسـه، بينـما يسـتمع شـارد الذهـن إلى حديـث سيموندسـيا ،عـن حضـارة المايـا والمعجـزات التـي هنـاك والمناظـر الخلابـة .

ربـت سيموندسـيا عـلى كتـف سـام في حماسـة، قبـل أن يقـول في هـدوء وهـو يحـدق في عينـي هـذا الأخـير :

- أعتقـد أنـك تملـك طاقـة هائلـة مـن الإنبعاثـات الفوتونيـة الحيويـة ، وأن الكـم الأكـبر مـن هـذه الطاقـة يكمـن في يـدك ، يمكننـي أن أرى قـوة الهالـة التـي حولهـا بوضـوح ، ليـدك المصابـة تلـك والتـي تنعتهـا بالمشـوهة يـا سـام هالـة بشـكل هـرم ، مـن المعـروف يـا سـام أن لطاقـة الهـرم طاقـة قصـوة وفقـا لأبحـاث باتريـك فلانجـان المنشـورة في كتابـه طاقـة الهـرم لعـام ١٩٧٣م، تسـبب بذلـك شـكل الأصابـع الناتـج عـن ذاك التشـوه ، ولتتخلـص مـن تلـك الطاقـة لابـد مـن أن تغـرس يـدك في الـتراب الـذي فـوق نهـر ريوسـيكربتو في ريفـيرا مايـا، هـل فهمتنـي يـا سـام .هـز سـام رأسـه موافقـا في إنفعـال ، وصحـب سيموندسـيا في رحلتـه إلى تولـوم ، إلى رحلتـه نحـو المجهـول ،ولم يـدر حينهـا سـام أن مـا يخفيـه عنـه سيموندسـيا سـيئ بـل ومؤسـف للغايـة.

رحلة اليقين

طـوال الرحلـة لم يكـف سيموندسـيا عـن الحديـث لثانيـة واحـدة ، إذ كان منغمسـا حتـى أذنيـه في وصـف كل مـا كان يمـران بـه بمنتهـى الدقـة والبراعـة ، رفـع سيموندسـيا عينيـه في محاولـة للتحديـق بسـام الـذي كان يقبـع فـوق رأسـه وهـو يقـول في إنفعـال:

- وصلنـا يـا سـام إلى تولـوم ، وكـما تـرى تقع مدينة تولوم على شاطئ ريفييرا المايا، تضم تلـك المدينـة عددًا من الينابيع والكهوف والأنهار الجوفية الموجودة فقط في هذا الجزء من المكسيك.

كان سيموندسـيا يحمـل سـام أحيانـا حينـما يبلـغ منـه التعـب مبلغه، أو يسـير بجانبـه، كان الأمـر برمتـه مرهـق ويسـتغرق وقتـا وجهـدا ، لكنـه كان السـبيل الوحيـد ليسـتطيع إصطحـاب نبتـة سيموندسـيا معـه ، فالذهـاب بالعربـات والقطـار مـع سيموندسـيا يعـد ضربـا للمسـتحيل ، لأنـه لا أحـد سـيتفهم أن هنـاك نبتـة يمكنهـا الحديـث والحركـة ، بـل وربمـا يتهمـون سـام بالسـحر والشـعوذة ويقتلونـه ، لـذا كان سـام يحـاول قـدر الإمـكان التحـرك بخفيـة مـع سيموندسـيا لعـدم لفـت الإنتبـاه وبينـما يسـيران جنبـا إلى جنـب ، إنتـزع سيموندسـيا سـام مـن افـكاره حينـما أشـار إلى كهفـين ضخمـين عـلى مشـارف تولـوم وهـو يقـول في هدوء:-كدنـا نصـل تولـوم ، أنظـر يـا سـام ، تلـك الكهـوف هـي غران سينوتي، و كـما تـرى هـي خـارج تولـوم، وهي عبارة عن اثنين من الكهوف العملاقة المغمورة جزئيًا بالمياه، أما تلـك هـي سيان كآن والتي تعنـي (أصل السماء) بلغة المايا أحد مواقع التراث المبهر وهي منطقة مليئة بغابات المنغروف والغابات الاستوائية والمستنقعات والبحيرات المحصورة بشعاب مرجانية، وتتمتع أيضًا بتنوع بيولوجي حيوي يسكنه العديد من الحيوانات والطيور مثل النمور والتماسيح والإغوانا والقرود

فضلًا عن العديد من أنواع الطيور منها البجع والببغاوات.

كان سام ينقل بصره بين تلك الأماكن في إفتتان ، فلقد كانت المناظر آسرة وخلابة ، كما لو كانت جنة الله في الأرض.

إنحنى سيموندسيا نحو شاطئ جميل تتراقص الأمواج على وجهه كما لو كان قطعة موسيقية قبل أن يقول في حماسة :

- هذا شاطئ بارايسو ، وهو الشاطئ العام الرئيسي في تولوم، يمتد أسفل المنحدرات جنوب الأطلال، ولديه خلفية رائعة من أشجار الجوز هند، ويتمتع شاطئ بارايسو بمياه صافية وساحل عريض من الرمال البيضاء .

قالها قبل أن يتوجه إلى إحدى أشجار جوز الهند ويتسلقها ، ليقطف بعض الثمار، ثم قام بكسرها بواسطة إحدى جذوعه ليثقب الثمرة ويناولها لسام الذي إبتسم في مرح بينما يأكل الثمرة بنهم ، وفي طريقهما مر سام وسيموندسيا بالكثير من النباتات والزهور الجميلة، التي كان سيموندسيا يخبر سام عنها بالتفصيل ، ومن هذه الزهور ، زهورا سامة مثل زهرة شوكران الماء والتي تنمو في طقس بارد وتستمر للربيع، لتكون على شكل مظلة ، وعلى الرغم من وداعة منظرها إلا أنها تعتبر من أشد النباتات سمية في شمال وجنوب أميركا وتتركز سميتها في الجذور ، الأمر الذي يسبب الغثيان، الرجفة، فشل في الجهاز التنفسي والوفاة.

وبين الأشجار وقعت عينا سام على بعض الزهور الغريبة، فحاول أن يقترب منها أكثر ، إلا أن سيموندسيا صرخ في سام في ذعر:-إنتبه سام، إن تلك الزهور تسمى زهور كف الوزة ، وهي سامة لإحتواءها على حامض الأوكساليك وتتميز النباتات بأنها تغير شكلها كلما تقدم النبات في النضج ، إذ تكون بداية على شكل رأس رمح ثم تصبح على شكل أصابع ، وعادة لون الأوراق خضراء ، إلا أنها في أصناف أخرى تكون صفراء أو ببضاء، كما أن تعريضها للشمس يؤدي إلى إحتراق الأوراق.

إستمع سام لسيموندسيا بإهتمام بالغ ، وهنا علم سام أن ظنونه بشأن سيموندسيا لا أساس لها من الصحة ، ولام نفسه كثيرا على إتهامه لسيموندسيا بالخيانة في أعماقه.

إنتزعه سيموندسيا من أفكاره وهو يشير إلى نوع جديد من الزهور الجميلة تفوح منها رائحة عطر جميل للغاية وهو يقول في ظفر :

- إنظر يا سام ، إنها نبتة زنبقة الوادي ياجمالها !

إلتفت سام إلى حيث أشار سيموندسيا ، قبل أن يطلق صفير إعجاب طويل، قاطعه ذاك الأخير وهو يردف:

- إن بتلاتها البيضاء تشبه الأجراس ، وهي من الزهور المعمرة، كما يصنع منها العطور الجميلة، إن هذه الرحلة ستتعلم منها أشياء كثيرة يا سام.

هز سام رأسه موافقا قبل أن يلتفت سيمونسيا مجددا لسام بينما يقول في إنفعال :

- سام إنك تحمل نايا في حقيبتك ، آلا عزفت لنا لحنا جميلا ، منذ زمن طويل لم تعزف على الناي ، كما إن لهذا الناي نكهة خاصة إنه من جذوع وسواعد أجدادي .

إبتسم سام وهو ينظر إلى عيني سيموندسيا في ود قبل أن يقول :

- بكل تأكيد صديقي العزيز سيموندسيا .

قالها وأخرج نايا أسودا أنيقا من حقيبته البنية، جلس مستندا إلى ظهر سيموندسيا الذي جلس هو الأخر بينما يريح جذوره على الأرض ، وبدأ سام بالعزف ببراعه، بقي سيموندسيا ينصت له وعيناه الخضراوتان عالقتان بالسماء بينما تبرقان، لكن لسوء الحظ توقف سام عن العزف حينما أشار له سبموندسيا بالصمت بينما يقول في قلق :

-إنتظر يا سام ثمة شيئ يتحرك نحونا ببطء ،هل تسمع ؟

وضع سام الناي جانبا وقبضت أصابعه على رمحه في قلق بينما

يجول ببصره حوله ، وفجأة ظهر نمر ضخم من بين الأشجار وأنقض على سام، ومع إنقضاضته إرتبك سام وأسقط الرمح من يده ، إلا أن سيموندسيا صرخ في غضب ، لتنبثق الأشواك من جسده بينما يطوق النمر في قسوة ، إنغرست الأشواك في جسد النمر ، لينزف بغزارة بينما يتلوى ويئن قبل أن يفلت سام من براثنه ، وقف سام يحدق في ذهول وذعر في جثة النمر ، أما سيموندسيا فوقف معتدلا بينما يرمق النمر الذي سقط تحت قدميه صريعا بنظرات غضب ، ثم إلتفت إلى سام وهو يقول في هدوء بينما الأشواك تتلاشى ويعود جسده كما كان عليه في السابق :

- كن حذرا يا سام لا أريد أن أفقدك يا صديقي.

ملأت الدموع عينا سام قبل أن يغوص في أحضان سيموندسيا ، تحسس هذا الأخير وجه سام بذراعه الرخوة بينما ذراعيه الخشبيتين ترفعان سام للأعلى كما لو كان دمية ، الأمر الذي جعل سام يضرب بقدميه الأرض بينما يقول في إنفعال :

- سيموندسيا مالذي تفعله ، أنزلني .

أنزله سيموندسيا على الأرض ، أطلق الإثنين ضحكات بريئة قبل أن يرمق سام النمر بشيئ من الشفقة ، الأمر الذي جعل سيموندسيا يقول مواسيا لسام :

- لقد هاجمنا وكنا ندافع عن أنفسنا فحسب ، نحن لا نقتل مثل أولئك الساديين لمجرد القتل ، النباتات تحترم الكون وتحترم الكائنات ، ليتهم هم يحترموننا ، ويكفون عن ملاحقتنا والإستخفاف بنا لمجرد مصالحهم الخاصة.

قالها ومط شفتيه في أسف ، الأمر الذي جعل سام يطرق رأسه في أسف .

أكمل سام وسيموندسيا رحلتهما الخلابة لتولوم مركز الفتنة

والجـمال ، وهنـاك تعرفـا عـلى نباتـات جديـدة أخـرى مثـل زهـور زنبـق البغبغـاء ،أزهـار البيجونيـا ، زهـرة القلـب النـازف وغيرهـا مـن النباتـات الجميلـة التـي تنمـو في المكسـيك .

بعـد أن قطـع كل مـن سـام وسيموندسـيا شـوطا طويـلا مـن السـير ، في أطـراف المدينـة غابـت الشـمس، وقـررا أن سـيخلدان إلى الراحـة والنـوم .

الخديعة الحية

في منتصف الليل ، فتح سام عينيه في قلق حينما تناهى إلى مسامعه حركة غريبة بجانبه ، الأمر الذي جعله يعتقد أن ثمة أفعى بجانبه ، لينهض مذعورا في قلق، قبل أن تتسع عيناه في ذهول، حين وقعت عيناه على وجه الشيئ الذي يقترب منه ، لدهشته كان ذلك وجه سيموندسيا ، وهنا هتف سام مناديا في قلق :

- سيموندسيا ، ما بالك تزحف نحوي هكذا لقد أخفتني يا صديقي.

إلا أن سيموندسيا لم ينبس ببنت شفة ، بل كانت عيناه تبرقان ببريق عجيب ، الأمر الذي جمد الدم في عروق سام ، للحظات بقي سام مصعوقا متسمرا، يحدق في سيموندسيا الذي إقترب منه حتى بدأ يشعر بأنفاسه تلفح وجهه ، إذدرد سام لعابه في ذعر ، وفجأة إنبثقت الأشواك من جسد سيموندسيا من كل جانب و شعر سام بوخز وألم شديد في صدره وعنقه بينما سيموندسيا يحاول الإلتصاق بسام أكثر وعيناه تبرقان بنفس البريق الغامض والمخيف قبل أن يقول في حزم :

- آسف يا سام سنفترق هنا ، إنتهت الرحلة .

كان الأمر برمته مربكا لسام الذي لم يعد يدرك ماذا يفعل ، وفي محاولة يائسة من سام بدأ يهز رأسه في عصبية وألم وهو يقول :

- محال أن تأذيني يا سيموندسيا ، أنا صديقك.

ومع إنغراس الأشواك اكثر في جسد سام وتصاعد الألم ، دفعته غريزة البقاء ليستل رمحه من جانبه ويغرسه في قلب سيموندسيا ، وبمجرد أن غرسه في قلب هذا الأخير ، إتسعت عينا سيموندسيا عن آخرهما وبدى كما لو كان يلفظ أنفاسه الأخيره ، وتدفق سائل أبيض عجيب من صدر سيموندسيا وغمر يد سام، حيث كان يمسك بالرمح المغروس

في قلب سيموندسيا ، ولدهشته فوجئ سام بأن اصابع يده المشوهة التي كانت تمسك بالرمح ، ما إن غمرها هذا السائل الذي تدفق من قلب سيموندسيا حتى بدأت أصابعه تعود لشكلها الطبيعي شيئا فشيئا ، الأمر الذي جعل سام ينتزع يده تلك من جرح سيموندسيا بينما يحدق فيه بلوعه وهو ينقل بصره بين جرح سيموندسيا المفتوح ويده ، قبل أن يصرخ في جنون وألم :

- سيموندسيا !!!!!!!!!!!!!!!!!! لا يا صديقي لا!!!!!!!!!!

وأخيرا أدرك سام لماذا كان سيموندسيا يخيفه ، كان صعبا على هذا الأخير أن ينهي حياته بنفسه، أراد من سام أن يقوم بذلك نيابة عنه، ليخرج السائل من قلبه ويغمر يده المشوهة فتتماثل للشفاء ، وأن هذا هو السبب الحقيقي في إنقراض قلب الماء، رغم أن سيموندسيا كان قريبا من سام إلا أنه لم يكن بمقدوره أن يسمعه وهو يصرخ الآن، أو أن سام هو الذي لم يكن بمقدوره أن يسمع همسات صديقه المخلص سيموندسيا ، أن يسمع قلب الحب و الماء منذ البداية .

تمت